



## كتاب : نقد الشعر المؤلف : قدامة بن جعفر

### رب يسر لإتمامه

قل أبو الفرج قدامة بن جعفر: العلم بالشعر ينقسم أقساماً، فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطع، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته، وقسم ينسب إلى علم معانيه. والمقصد به، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديته. وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة، فاستقصوا أمر العروض والوزن، وأمر القوافي والمقاطع، وأمر الغريب والنحو، وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر، وما الذي يريد بها الشاعر.

ولم أجد أحداً وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديته كتاباً، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المحدودة، لأن علم الغريب والنحو وأغراض المعاني محتاج إليه في أصل الكلام العام للشعر والنثر، وليس هو بأحدهما أولى منه بالآخر، وعلمنا الوزن والقوافي، وإن خصا الشعر وحده، فليست الضرورة داعية إليها، لسهولة وجودهما في طباع أكثر الناس من غير تعلم، ومما يدل على ذلك أن جميع الشعر الجيد المستشهد به إنما هو لمن كان قبل واضعي الكتب في العروض والقوافي. ولو كانت الضرورة إلى ذلك داعية لكان جميع هذا الشعر فاسداً أو أكثره، ثم ما نرى أيضاً من استغناء الناس عن هذا العلم فيما بعد واضعيه إلى هذا الوقت، فإن من يعلمه ومن لا يعلمه ليس يعول في شعر إذا أراد قوله إلا على ذوقه دون الرجوع إليه، فلا يتوكد عند الذي يعلمه صحة ذوق ما

تراحف منه بأن يعرضه عليه، فكان هذا العلم مما يقال فيه: إن الجهل به غير ضائر، وما كانت هذه حاله فليست تدعو إليه ضرورة.

فأما علم جيد الشعر من رديئه، فإن الناس يخطون في ذلك منذ تفقهوا في العلم، فقليلاً ما يصيبون ولما وجدت الأمر على ذلك، وتبينت أن الكلام في هذا الأمر أخص بالشعر من سائر الأسباب الأخر، وأن الناس قد قصروا في وضع كتاب فيه، رأيت أن أتكلم في ذلك بما يبلغه الوسع، فأقول:

## الفصل الأول

### حد الشعر

إن أول ما يحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن: معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز - مع تمام الدلالة - من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى.

فقولنا: قول: دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر.

وقولنا: موزون: يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون.

وقولنا: مقفى: فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف، وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع.

وقولنا: يدل على معنى: يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى.

فإنه لو أراد مريد أن يعمل من ذلك شيئاً كثيراً على هذه الجهة لأمكن وما تعذر عليه.

فإذ قد تبين أن كذلك، وأن الشعر هو ما قدمناه، فليس من الاضطرار إذن أن يكون ما هذه سبيله جيداً أبداً ولا رديئاً أبداً، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران، مرة هذا، وأخرى هذا، على حسب ما يتفق، فحينئذ يحتاج إلى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء.

### صناعة الشعر

ولما كانت للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال، غداً كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن، فله طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمى الوسائط، وكان كل قاصد لشيء من ذلك فإنما يقصد الطرف الأجود، فإن كان معه من القوة في الصناعة ما يبلغه إياه، سمي حاذقاً تام الحذق، وإن قصر عن ذلك نزل له اسم بحسب الموضع الذي يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها، كان الشعر أيضاً، إذ كان جارياً على سبيل سائر الصناعات، مقصوداً فيه وفي ما يحاك ويؤلف منه إلى غاية التجويد، فكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء إنما هو من ضعفت صناعته.

## صفات الشعر

فإذ قد صح أن هذا على ما قلناه، فلنذكر الصفات التي إذا اجتمعت في الشعر كان في غاية الجودة، وهو الغرض الذي تنتجيه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة الصناعات، والغاية الأخرى المضادة لهذه الغاية، التي هي نهاية الرداءة.

وأذكر أسباب الجودة وأحوالها وأعداد أجناسها، ليكون ما يوجد من الشعر قد اجتمعت فيه الأوصاف المحمودة كلها، وخلا من الخلال المذمومة بأسرها، يسمى شعراً في غاية الجودة، وما يوجد بضد هذا الحال يسمى شعراً في غاية الرداءة، وما يجتمع فيه من الحالين أسباب ينزل له اسم بحسب قربه من الجيد أو من الرديء، أو وقوفه في الوسط الذي يقال لما كان فيه: صالح أو متوسط، أو لا جيد ولا رديء، فإن سبيل الأوساط في كل ما له ذلك أن تحد بسلب الطرفين، كما يقال مثلاً في الفاتر - الذي هو وسط بين الحار والبارد - إنه لا حار ولا بارد، والمز - الذي هو وسط بين الحلو والحامض - إنه لا حلو ولا حامض.

## معاني الشعر

ومما يجب توطيده وتقديمه، قبل الذي أريد أن أتكلم فيه، أن المعاني كلها معرضة للشاعر، وله أن يتكلم منها، فيما أحب وآثر، من غير أن يحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذ كانت المعاني بمنزلة المادة الموضوعية، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع. يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة، والفضة للصياغة. وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضعفة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح والعصية، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة.

ومما يجب تقديمه أيضاً أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً، ثم يذمه بعد ذلك ذماً حسناً أيضاً، غير منكراً عليه ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي دليل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها.

وإنما قدمت هذين المعنيين، لما وجدت قوماً يعيرون الشعر إذا سلك الشاعر فيه هذين المسلكين،  
فإني رأيت من يعيب امرأ القيس في قوله

فَمِثْلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٌ ... فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُخَوَّلٍ  
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشَقٍّ وَتَحْتِي شَقُّهَا لَمْ يُحَوَّلِ

ويذكر أن هذا معنى فاحش، وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب

.جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته

وكذلك رأيت من يعيب هذا الشاعر أيضاً في سلوكه للمذهب الثاني الذي قدمته، حيث استعمله اقتداراً

:وقوة، وتصرف فيه إحساناً وحقاقة، وذلك قوله في موضع

فلو أن ما أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي ولم أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

ولكنَّما أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ ... وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

:وقوله في موضع آخر

فَتَمَلَّأَ بَيْتَنَا أَقِطاً وَسَمْنًا ... وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ

فإن من عابه، زعم أنه من قبل المناقضة، حيث وصف نفسه في موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدني

.المعيشة، وأطرى في موضع آخر القناعة، وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشعبه وريبه

وإذ قد ذكرت ذلك، فلا بأس بالرد على هذا العائب في هذا الموضع، ليكون في ما احتج به بعض

التطريق لمن يؤثر النظر في هذا العلم إلى التمهيد فيه، فأقول: إنه لو تصفح أولاً قول امرئ القيس حتى

تصفحه لم يوجد ناقض معنى بآخر، بل المعنيان في الشعرين متفقان، إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا

تنقص ما في الآخر، وليس أحد ممنوعاً من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض، وذلك أنه قال في أحد

.المعنيين: فلو أنني أسعى لأدنى معيشة كفاني القليل من المال

:وهذا موافق لقوله

وحسبك من غنى شيع وري

لكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء، وهو قوله: لكنني لست أسعى لما يكفيني، ولكن

.لمجد أو ثله

فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الإنسان باليسير في الشعرين متوافقان، والزيادة في الشعر الأول،

.التي دل بها على بعد همته، ليست تنتقض واحداً منهما ولا تنسخه

وأرى أن هذا العائب ظن أمراً القيس قال في أحد الشعرين: إن القليل يكفيه، وفي الآخر: إن القليل لا

.يكفيه

وقد ظهر بما قلناه أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب إليه، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه

ما كان عندي مخطئاً من أجل أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى أن لا ينقض بعضه بعضاً، ولا في

معنى سلوكه في كلمة واحدة، ولو كان فيه لم يجر مجرى العيب، لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون

صادقاً، بل إنما يراد منه، إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن

.يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر

ومع ما قدمته، فإني لما كنت آخذاً في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة

أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك، والأسماء لا

منازعة فيها إذ كنت علامات، فإن قنع بما وضعته وإلا فليخترع لها كل من أبى ما وضعته منها ما أحب، فليس ينازع في ذلك.

وإذ قدمت ما احتجت إلى تقديمه فأقول: إنه لما كان الشعر على ما قلناه لفظاً موزوناً مقفى يدل على معنى، وكان هذا الحد مأخوذاً من جنس الشعر العام له وفصوله التي تحوزه عن غيره، كانت معاني هذا الجنس والفصول موجودة فيه، كما يوجد في كل محدود معاني حده، لأن الإنسان مثلاً يحد بأنه حي ناطق ميت، فمعنى الحياة التي هي جنس للإنسان موجود في الإنسان، وهو التحرك والحس، وكذلك معنى النطق - الذي هو فصله مما ليس بناطق - موجود فيه، وهو التخيل والذكر والفكر، ومعنى الموت - الذي في حد الإنسان - وهو قبول بطلان الحركة، فكذلك أيضاً معنى اللفظ الذي هو جنس للشعر موجود فيه، وهو حروف خارجة بالصوت متواطئاً عليها، وكذلك معنى الوزن، ومعنى التقفية، ومعنى ما يدل عليه اللفظ.

وإذ كان ذلك كما قلنا، فالشعر إنما هو ما اجتمع من هذه الأسباب التي يحيط بها حده. ولما كان كل مجتمع، وكل مؤلف من أمور، وللأمر تألف من بعضها مع بعض، يزيد عددها فيه وينقص على حسب كثرة الأمور وقلتها، وجب أن يكون الشعر أيضاً لما كان مجتمعاً من أسباب أن تكون أقسام تأليف هذه الأسباب بعضها إلى بعض جاريةً هذا المجرى، وأن يكون تعديد هذه التأليفات إذا استوعب وأضيف ذلك إلى عدة الأسباب المفردات من غير تأليف، فقد أتى على جميع الأسباب التي يجب الكلام فيها من أمر الشعر، فأقول: إنه لما كانت الأسباب المفردات التي يحيط بها على حد الشعر على ما قدمنا القول فيه أربعة، وهي اللفظ، والمعنى، والوزن، والتقفية، وجب - بحسب هذا العدد - أن يكون لها ستة اضرب من التأليف، إلا أنني وجدت اللفظ والمعنى والوزن تألف، فيحدث من ائتلافها بعضها إلى بعض معان يتكلم فيها، ولم أجد للقافية مع واحد من سائر الأسباب الآخر ائتلافاً، إلا أنني نظرت فيها فوجدتها، من جهة ما، أنها تدل على معنى لذلك المعنى الذي تدل عليه ائتلاف مع معنى سائر البيت، فأما مع غيره فلا، لأن القافية إنما هي لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر، ولها دلالة على معنى، كما لذلك اللفظ أيضاً، والوزن شيء واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى، فإذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الأمور الآخر ائتلاف القافية أيضاً، إذ كانت لا تعدو أنها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع غيره.

فأما من جهة ما هي قافية، فليس ذلك ذاتاً يجب لها أن يكون لها به ائتلاف مع شيء آخر، إذ كانت هذه اللفظة إنما قيل فيها: إنها قافية من أجل أنها مقطع البيت وآخره، وليس أنها مقطع ذاتي لها، وإنما هو شيء عرض لها بسبب أنه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها، وليس الترتيب، وأن لا يوجد للشيء تال يتلوها، ذاتاً قائمةً فيه، فهذا هو السبب في أن لم يكن للقافية من جهة ما هي قافية تأليف مع غيرها.

فأما من جهة ما تدل عليه، فإن ذلك تأليف معنى إلى ما يتألف معه، إلا أنني نسبته في هذا الكتاب إلى

القافية على سبيل التسمية، وإن أراد مريد أن ينسب ذلك إلى أنه تأليف معنى القافية إلى ما يتألف معه لم أضايقه، فصار ما حدث من أقسام ائتلاف بعض هذه الأسباب إلى بعض: أربعة، وهي: ائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية، وصارت أجناس الشعر ثمانية، وهي: الأربعة المفردات البسائط التي يدل عليها حده، والأربعة المؤلفات منها.

ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يمدح بها، وأحوال يعاب من أجلها، وجب أ، يكون جيد ذلك ورديته للاحقين للشعر، إذ كان ليس يخرج شيء منه عنها، فلنبدأ بذكر أوصاف الجودة في واحد واحد منها، ليكون مجموع ذلك إذا اجتمع للشعر كان في نهاية الجودة، ونعقب ذلك بذكر العيوب، ليكون أيضاً مجموع ذلك إذا اجتمع في شعر كان في نهاية الرداءة، ولا محالة أنه إذا كان هذان الطرفان مشتملين على جميع النعوت والعيوب التي نذكرها، ولم يكن كل شعر جامعاً لجميع النعوت أو جميع العيوب، وجب أن تكون الوسائط التي بين الممدح والذم تشتمل على صفات محمودة وصفات مذمومة، فما كان فيه من النعوت أكثر، كان إلى الجودة أميل، وما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب، وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطاً بين الممدح والذم، وتنزيل ذلك إذا حضر ما في الطرفين من النعوت والعيوب لا يبعد على من أعمل الفكر وأحسن سبر الشعر.

## الفصل الثاني

### النعوت

فلنبدأ من ذكر الأجناس الثمانية بأولها من الأربعة المفردات، وهو اللفظ، ونذكر نعوت ذلك ونعوت سائر الأجناس، ونجعل هذا الفصل مقصوراً على ذكر النعوت.

### نعت اللفظ

أن يكون سمحاً، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة، مثل أشعار يوجد فيها ذلك، وإن خلت من سائر النعوت للشعر، منها أبيات من تشبيب قصيدة للحادرة:

الذبياني، وهي

وَتَصَدَّقْتُ حَتَّى اسْتَبْتُكَ بِوَاضِحٍ ... صَلَّتْ كَمُتَّصَبِ الْغَزَالِ الْأَتْلَعِ  
وَبِمُقْلَتِي حَوْرَاءَ تَحْسِبُ طَرْفَهَا ... وَسَنَانَ حُرَّةٍ مُسْتَهْلٍ الْمَدْمَعِ  
وَإِذَا تُنَازَعَكَ الْحَدِيثَ رَأَيْتَهَا ... حَسَنًا تَبْسُمُهَا لَذِيذِ الْمَكْرَعِ  
كَغَرِيضٍ سَارِيَةٍ أَدْرَتْهُ الصَّبَا ... بِنَزِيلِ أَسَجَرَ طَيْبِ الْمُسْتَنْقَعِ  
لِعَبِّ السُّيُولِ بِهِ فَأَصْبَحَ مَأْوُهُ ... غَلَلًا تَقْطَعُ فِي أَصُولِ الْخِرْوَعِ

فَسَمَىٰ وَنَحَكَ هَلْ عَلِمْتَ بِفَتِيَّةٍ ... غَادَيْتُ لَدَّتْهُمْ بِأَدَكْنِ مُتَرَعٍ  
بَكَّرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ ... مِنْ عَاتِقِ كَدَمِ اللَّيْلِ مُشْعَشِعٍ  
:ومن هذا الجنس قول محمد بن عبد الله السلامي  
أَلَا رُبَّمَا هَاجَتْ لَكَ الشَّوْقُ عَرَصَةً ... بِمَرَانِ تَمْرِهَا الرِّيحُ الرِّيحُ  
بِهَا رَسْمٌ أَطْلَالٍ وَجَنَمٌ خَوَاشِعُ ... عَلَيْهِنَّ تَبْكِي الْهَاتِفَاتُ السَّوَاجِعُ  
وَبَيْضُ تَهَادَى فِي الرِّبَاطِ كَأَنَّهَا ... مَهَا رُبُوعٌ طَابَتْ لَهْنُ الْمَرَاعِ  
تَحْرِيْنٌ مِنَّا مَوْعِدًا بَعْدَ رِفْعَةٍ ... بِأَعْقَرِ تَغْلُوهُ الشُّرُجُ الدَّوَافِعُ  
فَجِشْنِ هُدُوءًا وَالشَّيَابُ كَأَنَّهَا مِنَ الطَّلِّ بَلَّتْهَا الرَّهَامُ النَّوَاشِعُ  
طُرُوفًا وَأَلْجَأْنَا الْهَوَى نَحْوَ رُبُوعٍ ... بِهَا غَفَلْتُ عَنَّا الْعُيُونُ الْخَوَادِعُ  
فَلَمَّا فَضَيْنَا غُصَّةً مِنْ عَتَابِنَا ... وَقَدْ فَاضَ مِنْ بَعْدِ الْعِتَابِ الْمَدَامِعُ  
جَرَى بَيْنَنَا مِنَّا رَسِيْسٌ يَزِيدُنَا ... سَقَامًا إِذَا مَا اسْتَيْقَنْتَهُ الْمَسَامِعُ  
قَلْبًا وَكَانَ اللَّيْلُ فِي ذَاكَ سَاعَةً ... وَقُفْمَنْ وَمَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ صَادِعُ  
وَوَلِيْنٌ مِنْ وَجْدٍ بِمِثْلِ الَّذِي بَنَا ... وَسَالَتْ عَلَى آثَارِهَا الْمُدَارِعُ  
يُزَجِّحِينَ بِكَرًا يَبْهَرُ الرِّبْطُ مَتْنَهَا كَمَا مَارَ تُعْبَانُ الْغُصَا الْمُتَدَافِعُ  
وَقُفْمَنَا إِلَى خُوصٍ كَأَنَّ عُيُونَهَا ... قَلَاتُ تَرَاحَى مَاؤُهَا فَهُوَ نَاصِعُ  
:ومنه بيتان للشماخ يذكر نهيق الحمار

إِذَا نَبَرَ التَّعْشِيرُ نَبْرًا كَأَنَّهُ ... بِقَارِحِهِ مِنْ خَلْفِ نَاجِدِهِ شَجٍ  
بَعِيدٌ مَدَى التَّطَرُّبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ ... سَحِيلٌ وَأَذْنَاهُ شَحِيحٌ مُحْشَرَجٍ  
:ومنها أبيات لجبيها الأَشْجَعِي

أَمِنْ الْجَمِيعِ بَذِي الْيَفَاعِ رُبُوعٌ ... رَاعَتْ فُؤَادَكَ وَالرُّبُوعُ تَرُوعُ

مِنْ بَعْدِ مَا بَلَيْتَ وَغَيْرَ آيَهَا ... فَطَرْتُ وَمُسْبَلَهُ الدُّيُولُ خَرِبُ  
جَوَالَةُ بَرِيٍّ الْمَلَأَ غَوْلِيَّةً ... بِرَغَامِهِنَّ مُرَبَّةً زُعُوعُ  
يَا صَاحِبِي أَلَا أَرْفَعَانِي إِنَّهُ ... يَشْفِي الصُّدَاعَ فَيَذْهَلُ الْمَرْفُوعُ  
أَلَوَاحُ نَاجِيَةٍ كَأَنَّ تَلِيلَهَا ... جِدْعٌ تُطِيفُ بِهِ الرُّقَاةُ مَنِيعُ  
فِي كُلِّ مُطَرِّدٍ الدُّفَاقِ كَأَنَّهُ ... نَسْرٌ يُرْتَقُ حَانَ مِنْهُ وَقُوعُ  
تَنْجُو إِذَا نَجَدْتَ وَعَارِضٌ أُوَيْهَا ... سَلَقَ الْحَنَ مِنْ النِّيَاطِ خَضُوعُ  
عَرَسَنَ دَائِرَةَ الظَّهِيرَةِ بَعْدَمَا ... وَغَزَنَ وَالْحَدَقُ الْكَنِينُ خَشُوعُ  
بَاقٍ أَغْبَرَ يَلْتَقِي حَنَانَهُ ... لِلرِّيحِ بَيْنَ فُرُوعِهِ تَزْجِيعُ  
يَعْتَسُ مِنْزِلَهُنَّ أَطْلَسُ جَائِعٌ ... طَيَّانٌ يُتَلَفُ مَالُهُ وَيَضِيعُ

:ومثله أيضاً

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ ... وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ  
وَشُدَّتْ عَلَى دُهِمِ الْمَهَارَى رِحَالُهَا ... وَلَمْ يَنْظُرِ الْعَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ  
أَخَذَنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ... وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ

### نعت الوزن

أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها ذلك، وإن خلت من أكثر نعوت الشعر، منها قصيدة

:حسان

مَا هَاجَ حَسَّانَ رُسُومَ الْمُقَامِ ... وَمَطَّعُنَ الْحَيِّ وَمَبْنَى الْخِيَامِ  
وَالنُّوْيِ قَدْ هَدَمَ أَعْصَادُهُ ... تَقَادُمُ الْعَهْدِ بِوَادِ تِهَامِ  
قَدْ أَدْرَكَ الْوَاشُونَ مَا أَمَلُوا ... وَالْحَبْلُ مِنْ شَعْنَاءِ رَثِّ الرَّمَامِ  
كَأَنَّ فَاهَا ثَغْبٌ بَارِدٌ ... فِي رَصْفٍ تَحْتَ ظِلَالِ الْعَمَامِ

:ومنها قصيدة طرفة

مَنْ عَائِدِي اللَّيْلَةِ أَمْ مَنْ نَصِيحٍ ... بِتُّ بِنَصَبٍ فَفُودِي قَرِيحٍ  
بَانَتْ فَأَمْسَى قَلْبُهُ هَائِمًا ... قَدْ شَفَّهَ وَجَدٌ بِهَا مَا يُرِيحُ  
فِي سَلَفٍ أَرْعَنَ مُنْفَجِرٍ ... يُقَدِّمُ أُولَى طُعْنٍ كَالطُّلُوحِ  
عَالِينَ رَقْمًا فَاحِرًا لَوْنُهُ ... مِنْ عَبَقَرِيٍّ كَنَجِيعِ الذَّبِيحِ

:ومثله أبيات للمنخل بن عبيد الشكري

وَلَقَدْ دَخَلْتَ عَلَى الْفَتَا ... فِي الْخَدْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ  
الكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرُ ... فَلُ فِي الدَّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ  
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ ... مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْعَدِيرِ  
وَعَطَفْتُهَا فَتَعَطَّفَتْ ... كَتَعَطَّفِ الْغُصْنِ النَّصِيرِ  
وَلَثَمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ ... كَتَنَفَّسِ الطَّيِّبِ الْغَرِيرِ  
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا ... مَةِ بِالْكَبِيرِ وَبِالصَّغِيرِ  
فَإِذَا سَكِرْتُ فَإِنِّي ... رَبُّ الْخَوَزْنِقِ وَالسَّدِيرِ  
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي ... رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ

:ومثله أبيات كعب بن الأشرف اليهودي

رَبِّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ ... سِطِ الْمِشْيَةِ أَبَاءِ أَنْفِ  
لَيْنِ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ ... وَعَلَى الْأَعْدَاءِ سَمٌّ كَالدُّعْفِ  
وَلَمَّا بَرَّرَ رَوَاءَ جَمَّةٍ ... مَنْ يَرِدُهَا يَأْنَاءِ يَغْتَرِفُ



وَنَحِيلٌ فِي تِلَاعِ جَمَّةٍ ... تُخْرِجُ التَّمَرَ كَأَمْثَالِ الْأَكْفُ  
وَصَرِيرٌ مِنْ مَحَالٍ خِلْتُهُ ... آخِرَ اللَّيْلِ أَهَارِيجٍ بِدُفٍّ

### الترصيع

ومن نعوت الوزن الترصيع، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف، كما يوجد ذلك في أشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم، وفي أشعار المحدثين المحسنين منهم.

فمما جاء في أشعار القدماء قول امرئ القيس الكندي

مِخْشٌ مِجْشٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعًا ... كَتَيْسٌ ظِبَاءِ الْحُلْبِ الْعُدْوَانِ

فاتى باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد، وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما في التصريف،

وربما كان السجع ليس في لفظة لفظة، ولكن في لفظتين لفظتين بالوزن نفسه كقوله

أَلَصُّ الضُّرُوسِ حَنْئِي الضُّسُّلُوعِ ... تَبُوعٌ طُلوْبٌ نَشِيطٌ أَشْرُ

وفي قصيدة أخرى سجع في لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله

وَأَوْتَادُهُ مَادِيَّةٌ وَعَمَادُهُ ... رُدِّيَّةٌ فِيهَا أَسَنَةٌ قَعَضَبِ

وقال زهير بن أبي سلمى

كَبْدَاءٌ مُقْبِلَةٌ وَرَكَاءٌ مُدْبِرَةٌ ... قَوْدَاءٌ فِيهَا إِذَا اسْتَعْرَضَتْهَا خَضَعُ

فاتى بفعلاء مفعلة تجنيساً للحروف بالأوزان: وقال أوس بن حجر

جُشًّا حَنَاجِرُهَا عُلْمًا مَشَافِرُهَا ... تَسْتُنُّ أَوْلَادُهَا فِي دَحْصِ أَنْصَاحِ

وقال طرفة

بَطِيٌّ عَنِ الْجَلِيِّ سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَا ... ذُلُولٌ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلْهَدِ

وقال عمرو بن أحمر الباهلي

فَمِثْلُكَ أَلْوَى بِالْفُؤَادِ وَزَارَ بِال ... عِدَادٍ وَأَصْحَى فِي الْحَيَاةِ وَأَسْكِرَا

وقال النمر بن تولب

مِنْ صَوْبِ سَارِيَةٍ عَلَتْ بِغَادِيَةٍ ... تَنْهَلُ حَتَّى يَكَادُ الصُّبْحُ يَنْجَابُ

وقال

طَوِيلُ الدَّرَاعِ قَصِيرُ الْكِرَا ... عِ يُوَاشِكُ فِي السَّبَسَبِ الْأَغْبَرِ

وقال اللعين المنقري

مَكِيثٌ إِذَا اسْتَرْخَى كَمِيشٌ إِذَا انْتَحَى ... عَلَى الْقَرَبِ الْأَقْصَى، وَشَدَّ لَهُ الْأَزْرَا

وقال الأسود بن يعفر

هَمُّ الْأُسْرَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَدَدُ الْحَصَى ... وَإِخْوَانُنَا مِنْ أَمْنَا وَأَيْنَا

:وقال أبو زيد الطائي

غَيْرُ فَاشٍ شَتْمًا وَلَا مُخْلِفٍ طَعٍ ... مَا إِذَا كَانَ بِالسَّدِيفِ السَّبِيلُ

:وقال آخر

قَامُوا فَجَاءُوا بِفَكَكَ الْعِنَاةِ وَمَعَ ... طَاءِ الْجَزِيلِ وَمَأْوَى كُلِّ مَلْهُوفٍ

:وقال الأفوه الأودي

سُودٌ غَدَائِرُهَا بُلُجٌ مَحَاجِرُهَا ... كَأَنَّ أَطْرَافَهَا لَمَّا اجْتَلَى الطَّنْفُ

وقال العجير بن عبد الله السلولي

حُمَ الدَّرَى مرسلة منه العرى ... وَرَجَلَاتِ الرَّعْدِ فِي غَيْرِ صَعَقٍ

:وقال سليك بن سلكة

إِذَا أَسْهَلْتَ خَبَّتْ وَإِنْ أَحْزَنْتَ مَشَتْ ... وَتَغَشَى بِهَا بَيْنَ الْبُطُونِ وَتَصْدَفُ

:وقال الشماخ

رَعِينُ النَّدَى حَتَّى إِذَا وَقَدَ الْحَصَى ... وَلَمْ يَبْقَ مِنْ نَوَى السَّمَاءِ يُرُوقُ

:وقال عبيد الراعي

صِغَافُ الْقَوَى لَيْسُوا كَمَنْ يَبْتَنِي الْعُلَى جَعَّاسِيصَ قَصَّارُونَ دُونَ الْمَكَارِمِ

:وقال أيضاً

سُودٌ مَعَاصِمُهَا جُعْدٌ مَعَاقِصُهَا ... قَدْ مَسَّهَا مِنْ عَقِيدِ الْقَارِ تَفْصِيلُ

:وقال بشامة بن عمرو بن الغدير

هَوَانَ الْحَيَاةِ وَخِزْيَ الْمَمَاتِ ... وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا

وقالت ليلي الأخيلية: وَقَدْ كَانَ مَرْهُوبَ السَّنَانِ وَبَيْنَ اللِّ - سَانَ وَمَجْدَامَ السَّرَى غَيْرَ فَاتِرٍ وَقَالَ نَاهِضُ

:بن ثومة الكلابي

صَحُوبُ الصَّدَى ظُمَأَى الْقَطَامَةِ السَّرَى ... رَكَامَ هَا بَيْنَ النِّعَامِ الْخِرَاشِ

وأكثر الشعراء المصبيين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى ورموا هذا المرمى، وإنما يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به، فإنه ليس في كل موضع يحسن، ولا على كل حال يصلح، ولا هو أيضاً إذا تواتر واتصل في الأبيات كلها بمحمود، فإن ذلك إذا كان، دل على عمل وأبان عن تكلف

على أن من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله أو إلى بين أبيات كثيرة منه منهم أبو

:صخر الهذلي، فإنه أتى من ذلك بما يكاد لجودته أن يقال فيه إنه غير متكلف، وهو قوله

وَتِلْكَ هَيْكَلَةٌ خَوْذٌ مُبْتَلَةٌ ... صَفْرَاءُ رَعْبَلَةٍ فِي مَنْصِبٍ سَنِمٍ

عَذْبٌ مُقْبَلُهَا جَذْلٌ مُخْلَخَلُهَا ... كَالِدَّعْصِ أَسْفَلُهَا مَخْصُورَةُ الْقَدَمِ

سُودٌ ذَوَائِبُهَا بَيْضٌ تَرَائِبُهَا ... مُحَضٌّ صَرَائِبُهَا صِيغَتْ عَلَى الْكَرَمِ

عَبَلٌ مُقَيَّدُهَا حَالٍ مَقْلُدُهَا ... بَضٌّ مُجَرَّدُهَا لَفَاءٌ فِي عَمَمٍ  
سَمَحٌ خَلَانُفُهَا دُرْمٌ مَرَاثُفُهَا ... يَرَوِي مُعَانِفُهَا مِنْ بَارِدِ الشَّبَمِ  
كَأَنَّ مُعْتَقَةً فِي الدَّنِّ مُغْلَقَةً ... صَهْبَاءُ مُصَفَّقَةً مِنْ رَابِي رِذَمٍ  
شَبِيتَ بِمَوْهَبَةٍ مِنْ رَأْسٍ مَرْقَبَةٍ ... جَرْدَاءُ مَهْيَبَةٍ فِي خَالِقِ شَمَمٍ  
خَالَطَ طَعْمَ ثَنَائِيهَا وَرِيقَتِهَا ... إِذَا يَكُونُ تَوَالِي النَّجْمِ كَالنُّظْمِ  
ومنهـم أبو المثلـم فإنه قال

لو كان للذَّهْرِ مَالٌ كَانَ مُثْلُهُ ... لَكَانَ لِلذَّهْرِ صَخْرٌ مَالٌ قُنْيَانٍ  
أَبَى الْهَضِيمَةِ نَابٍ بِالْعَظِيمَةِ مِت ... لَأَفِ الْكَرِيمَةِ لَا سِقْطٌ وَلَا وَانِي  
حَامِي الْحَقِيقَةِ نَسَالُ الْوَدِيقَةِ مَع ... تَأْفُ الْوَسِيقَةِ جَلْدٌ غَيْرُ تُنْيَانٍ  
رَبَاءُ مَرْقَبَةٍ مَنَاعُ مَغْلَبَةٍ ... وَهَابُ سَلَهَبَةٍ قَطَاعُ أَقْرَانٍ  
هَبَّاطُ أَوْدِيَةِ حَمَالِ أَلْوِيَةِ ... شَهَادُ أُنْدِيَةِ سِرْحَانُ فُنْيَانٍ  
يُعْطِيكَ مَا لَا تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ ... مِنَ التَّلَادِ وَهُوبٌ غَيْرُ مَنَانٍ  
ومثل ذلك للمحدثين أيضاً كثير

وإنما يذهبون في هذا الباب إلى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضاً، فإنه لا كلام أحسن من كلام  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم، وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك، فمنه ما روى عنه عليه  
السلام من أنه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال: أعيذهما من السامة والهامة وكل عين لامة  
وإنما أراد ملمة، فلا تباع الكلمة أخواتها في الوزن، قال: لامة  
وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة، فقال: مأمورة  
من أجل مأبورة والقياس: مؤمرة  
وجاء في الحديث: يرجعن مأزورات غير مأجورات. وإذا كان هذا مقصوداً له في الكلام المنشور،  
فاستعماله في الشعر الموزون أقمن وأحسن

### نعت القوافي

أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج، وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من  
القصيدة مثل قافيتها، فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون  
يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر  
وسعة بحره.

:وأكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس، لمحله من الشعر فمته قوله  
قَفَا نَبَكٍ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْلِ  
ثم أتى بعد هذا البيت بأبيات، فقال

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدْلِيلِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتُ صُرْمِي فَأَجْمَلِي

:ثم أتى بأبيات بعد هذا البيت، فقال

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

:وقال في قصيدة أخرى أولها

أَلَا أَنْعَمَ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنْ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي

:وقال بعد بيتين من هذا البيت

دِيَارٌ لِسَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي خَالٍ ... أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَالٍ

:ثم قال بعد أبيات آخر

أَلَا إِنِّي بَالٍ عَلَى جَمَلٍ بَالِي ... يَفُودُ بِنَا بَالٍ وَيَتْبَعُنَا بَالٍ

:وقال في قصيدة أخرى أولها

غَشِيْتُ دِيَارَ الْحَيِّ بِالْبَكْرَاتِ ... فَعَارِمَةٌ فَبَرْقَةِ الْعِيرَاتِ

:وأتى بيتين، ثم قال

أَعْنَى عَلَى التَّهْمَامِ وَالذِّكْرَاتِ ... يَبْتَنُ عَلَى ذِي الْهَمِّ مُعْتَكِرَاتِ

:وقال في قصيدة أخرى أولها

عَيْنَاكَ ذَمُّهُمَا سِجَالٌ ... كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا أَوْشَالٌ

:وقال بعد أبيات من هذا البيت

قُلُوبَ خِرَانٍ ذِي أَوْرَالٍ ... قُوتَا كَمَا يُرْزَقُ الْعِيَالُ

:وقد سلك هذا السبيل غير امرئ القيس شعراء كثيرون، فمنهم أوس قال في قصيدة أولها

وَدَّعَ لَمِيسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللَّاحِي ... قَدْ فَتَكَتْ فِي فَسَادٍ بَعْدَ إِصْلَاحِ

:ثم أتى بأبيات وقال

إِنِّي أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرِقْ مَعِيَ صَاحٍ ... لِمُسْتَكِفٍّ بَعِيدِ النَّوْمِ لَوَاحٍ

:ومنهم مرقش قال في قصيدة أولها

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَاءُ عَيْنَيْكَ يَسْفَعُ غَدَاً مِنْ مَقَامِ أَهْلِهِ وَتَرَوُّحُوا

:ثم أتى ببيت وقال

أَمِنْ بِنْتِ عَجَلَانَ الْخَيَالِ الْمُطَرَّحِ ... أَلَمْ وَرَخْلِي سَاقِطٌ مُتَزَخِرُ

:وقال حسان بن ثابت من قصيدة أولها

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ الْجَدِيدَ التَّكْلُمَا ... بِمَدْفَعٍ أَشْدَّحِ فَبَرْقَةِ أَظْلَمَا

:وقال البيت التالي لهذا

أَبَى رَسْمِ دَارِ الْحَيِّ أَنْ يَتَكَلَّمَا ... وَهَلْ يَنْطِقُ الْمَعْرُوفُ مَنْ كَانَ أَبْكَمَا

وقال الشماخ قصيدة أولها

أَلَا نَادِيَا أَطْعَانَ لَيْلَى تُعْرِجُ ... فَقَدْ هَجَنَ شَوْقًا لَيْتَهُ لَمْ يُهَيِّجْ

ثم أتى بأبيات وقال

أَلَا أَدْلَجْتُ لَيْلَاكَ مِنْ غَيْرِ مُدْلَجٍ ... هَوَى نَفْسِهَا إِذَا أَدْلَجْتُ لَمْ تُعْرِجْ

وقال عبيد بن الأبرص قصيدة أولها

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ ... فَالْقَطِيبَاتُ فَالذُّنُوبُ

ثم أتى بأبيات وقال

أَرْضُ تَوَارِثِهَا شُعُوبٌ ... فَكُلُّ مَنْ حَلَّهَا مَحْرُوبٌ

ثم أتى بأبيات وقال

وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبٍ ... طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبٌ

وقال الراعي قصيدة أولها

أَبْتُ آيَاتٍ حُبِّي أَنْ تُبَيِّنَا ... لَنَا خَبْرًا فَأُبْكِيَنَّ الْحَزِينَا

ومن الشعراء من ربما أغفل التصريح في البيت الأول، فأتى به في بعض الأبيات من القصيدة فيما بعد

قال ابن أحمر الباهلي قصيدة أولها

قَدْ بَكَرْتُ عَاذِلْتِي بِكَرَّةٍ ... تَزْعُمُ أَنِّي بِالصَّبَا مُشْتَهَرٌ

فلم يصرع أول القصيدة، وأتى بيتين بعد الأول، ثم قال

بَلْ وَدَّعِينِي طِفْلًا إِنِّي بَكْرٌ ... وَقَدْ دَنَا الصُّبْحُ فَمَا أُنْتَظَرُ

وقال ابن أحمر أيضاً من قصيدة أولها

لَعَمْرِي مَا خَلَفْتُ إِلَّا لَمَّا أَرَى ... وَرَاءَ رِجَالٍ أَسْلَمُونِي لَمَّا بَيَا

فأتى بالأول غير مصرع، وقال أبياتاً بعده، ثم قال

فَأَمْسَى جَنَابُ الشَّوْلِ أَغْبَرَ كَابِيَا ... وَأَمْسَى جَنَابُ الْحَيِّ أْبْلَجَ وَارِيَا

وقال أمية بن حرثان بن الأسكر الكناني قصيدة أولها

أَصْبَحْتُ هَزْءًا لِرَاعِي الضَّانِ أُعْجِبُهُ ... مَاذَا يُرِيكَ مِنِّي رَاعِي الضَّانِ

فلم يصرع أول بيت، وأتى بعده بيت واحد، ثم قال

يَا ابْنِي أُمِيَّةُ إِنِّي عَنْكُمَا غَانِي ... وَمَا الْغِنَى غَيْرُ أَنِّي مُشَعَّرٌ فَانِي

وإنما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون إلى ذلك، لأن بنية الشر إنما هو التسجيع والتفقية، فكلما

كان الشعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر

نعوت المعاني الدال عليها الشعر

جماع الوصل لذلك أن يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود، غير عادل عن الأمر المطلوب. ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها إلى أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعدده، ولم يمكن أن يؤتى على تعديد جميع ذلك، كي يبلغ آخره، رأيت أن أذكر منه صديقاً ينبي عن نفسه، ويكون مثلاً لغيره، وعياراً لما لم أذكره، وأن أجعل ذلك في الأعلام من أغراض الشعراء، وما هم له أكثر دوساً، وعليه أشد دوماً، وهو المديح والهجاء والمرائي والتشبيه والوصف والنسيب

### الغلو والاقتصار

وأقدم أمام كلامي في هذه الأقسام قولاً يحتاج إلى تقديمه، وهو أنني رأيت الناس مختلفين في مذهبي من مذهب الشعر، وهما الغلو في المعنى إذا شرع فيه، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه، وأكثر الفريقين لا يعرف من أصله ما يرجع إليه ويتمسك به، ولا من اعتقاد خصمه ما يدفعه ويكون أبداً مضاداً له، لكنهم يخطئون في ظلماء، فمرة يعمد أحد الفريقين إلى ما كان من جنس قول خصمه فيعتقده، ومرة يعمد إلى ما جانس قوله في نفسه فيدفعه ويعتقد نقضه، وقد شهدت أنا، ممن هذه سبيله، قوماً يقولون إن قول مهلهل ابن ربيعة

فلولا الريح أسمع أهل حجرٍ ... صليل البيض تفرغ بالذكور

خطأ من أجل أنه كان بين موضع الوقعة التي ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة جداً

وكذلك يقولون في قول النمر بن تولب

أبقى الحوادث والأيام من نمرٍ ... أسبَدَ سيفٍ قديمٍ إثره بادٍ  
تظللُ تحفرُ عنه إن ضربت به ... بعد الذراعين والساقين والهادي

وكذلك في قول أبي نواس

وأخفت أهل الشرك حتى أنه ... لتخافك النطف التي لم تُخلَق

ثم رأيت هؤلاء بأعيانهم في وقت آخر يستحسنون ما يروون من طعن النابغة على حسان بن ثابت رضي الله عنه في قوله

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي ... وأسيفنا يقطرن من نجدة دما

وذلك أنهم يرون موضع الطعن على حسان إنما هو قوله: الغر، وكان ممكناً أن يقول: البيض، لأن

الغرة: بياض قليل في لون آخر غيره كثير، وقالوا فلو قال: البيض، لكان أكثر من الغر

وفي قوله: يلمعن بالضحي، ولو قال: بالدجى، لكان أحسن

وفي قوله: وأسيفنا يقطرن من نجدة دماً، قالوا: ولو قال: يجرين، لكان أحسن، إذ كان الجري أكثر من القطر

فلو أنهم يحصلون مذاهبهم لعلموا أن هذا المذهب في الطعن على شعر حسان غير المذهب الذي كانوا معتقدين له من الإنكار على مهلهل، والنمر، وأبي نواس، لأن المذهب الأول إنما هو لمن أنكر

الغلو، والثاني لمن استجاده، فإن النابغة - على ما حكى عنه - لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو بتصويره مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه، وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة - كان أو من غيره - خطأ بين، وأن حسان مصيب، إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده، وكان الراد عليه عادلاً عن الصواب إلى غيره.

فمن ذلك أن حسان لم يرد بقوله: الغر، أن يجعل الجفان بيضاً، فإذا قصر عن تصوير جميعها أبيض نقص ما أراد، وإنما أراد بقوله: الغر، المشهورات، كما يقال يوم أغر ويد غراء، وليس يراد البياض في شيء من ذلك، بل تراد الشهرة والنباهة.

وأما قول النابغة في: يلمع بالضحي، أنه لو قال: بالدجي، لكان أحسن من قوله: بالضحي، إذ كل شيء يلمع بالضحي، فهو خلاف الحق وعكس الواجب، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء، فأما الليل فأكثر الأشياء، مما له أدنى نور وأيسر بصيص، يلمع فيه، فمن ذلك الكواكب، وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا، دائماً تلمع بالليل ويقل، لمعانها بالنهار حتى تخفى، وكذلك السرج والمصباح ينقص نورها كلما أضحى النهار، والليل تلمع فيه عيون السباع لشدة بصيصها، وكذلك اليراع حتى تخال ناراً.

وأما قول النابغة، أو من قال: إن قوله في السيف: يجرين، خير من قوله: يقطرن، لأن الجري أكثر من القطر، فلم يرد حسان الكثرة، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويتعاودونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا: سيفه يقطر دماً، ولم يسمع: سيفه يجري دماً، ولعله لو قال: يجرين دماً، لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادة العرب به.

ولنرجع إلى ما بدأنا بذكره من الغلو والاقتصار على الحد الأوسط، فأقول: إن الغلو عندي أجود المذهبين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً.

وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه.

وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم.

ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المقدم ذكره، فهو مخطئ، لأنهم وغيرهم - ممن ذهب إلى الغلو - إنما أرادوا به المبالغة، وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم، فإنما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت، وهذا أحسن من المذهب الآخر، فإن قول النابغة الجعدي في معنى قول النمر على مذهب الاقتصاد ولزوم الحد الأوسط

وَقَدْ أَبَقْتُ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنِّي ... كَمَا أَبَقْتُ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي

.دون قول النمر، لأن في قول النمر دليلاً قوياً على أن ما بقي منه أكثر مما بقي من النابغة

:وكذلك قول كعب بن مالك الأنصاري في معنى قول مهلهل ووصفه صوت الضرب

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُرْعِلُ بَعْضُهُ ... بَعْضًا كَمَعَمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحَرِّقِ

.دون قول مهلهل، لأن في قول المهلهل ما يدل على أن الضرب الذي ذكره أشد وأبلغ

:وكذلك قول الحزين الكناني في معنى قول أبي نواس

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ ... فما يَكَلِّمْ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

دون قول أبي نواس، لأن هذا وإن كان قد وصف صاحبه، بما دل على مهابته، فإن قول أبي نواس دليلاً على عموم المهابة ورسوخه في قلب الشاهد والغائب، وفي قوله: حتى إنه لتهابك، قوة لتكاد تهابك، وكذا كل غال مفرط في الغلو إذا أتى بما يخرج عن الموجود فإنما يذهب فيه إلى تصييره مثلاً، وقد أحسن أبو نواس حيث أتى بما ينبئ عن عظم الشيء الذي وصفه

وإذ قدمت ما أردت تقديمه، فلنرجع إلى ذكر واحد من المعاني الستة التي قلت إنها الأعلام من

أغراض الشعراء في المعاني، فأبدأ أولاً بذكر المديح

### نعت المدح

ما أحسن ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصف زهير حيث قال: إنه لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال، فإن في هذا القول، إذا فهم وعمل به، منفعة عامة، وهي العلم بأنه إذا كان الواجب أن لا يمدح الرجال إلا بما يكون لهم وفيهم، فكذا يجب أن لا يمدح شيء غيرهم إلا بما يكون له وفيه، وبما يليق به ولا ينافره، ومنفعة أخرى ثانية وهي تأكيد ما قلنا في أول كلامنا في المعاني من أن الواجب فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول عنه إلى ما لا يشبهه

ولما كان المدح اسماً مشتركاً لمدح الرجال وغيرهم، عمدنا بالقول في مدح الرجال، إذ كان غرض الشعراء في الأكثر إنما هو مدحهم للرجال، إلا ما يستعملون من أوصاف النساء، فإن ذلك له قسم آخر سنأتي به فيما بعد إن شاء الله تعالى، وعلمنا أنا إذا أخذنا في التعريف بجودة مدح الرجال كيف يكون، فقد يتعلم من حواشي قولنا في هذا كيف تسلك السبيل إلى مدح غيرهم، فنقول: إنه لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك، إنما هي العقل والشجاعة والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً، والمادح بغيرها مخطئاً؛ ثم قد يجوز مع ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها بالبعض والإغراق فيه دون البعض، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجود الذي هو أحد أقسام العدل وحده، فيغرق فيه ويفتن في معانيه، أو بالنجدة فقط، فيعمل فيها مثل ذلك أو بهما، ويقتصر عليهما دون غيرهما، فلا يسمى مخطئاً لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله، لكن يسمى مقصراً عن استكمال جميع المدح

فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال لا بغيرها، والبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده من استوعبها ولم يقتصر على بعضها، وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدة



أخي ثِقَّةٌ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ ... وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ  
فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلة إمعانه في اللذات، وأنه لا ينفد ماله فيها، وبالسخاء لإهلاكه ماله في  
النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات، وذلك هو العدل، ثم قال  
تراه إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا ... كَأَنَّكَ مُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ  
فزاد في وصف السخاء منه بأن جعله يهش له، ولا يلحقه مضض، ولا تكره لفعله، ثم قال  
فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْحُرُوبِ وَمِثْلَهُ ... لِإِنْكَارِ ضَيْمٍ أَوْ لَخْصَمٍ يُجَادِلُهُ

وأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل، فاستوعب زهير، في أبياته هذه، المدح بالأربع  
الخصال التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة، وزاد في ذلك الوفاء، وهو وإن كان داخلاً في هذه  
الأربع، فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها، حيث قال: أخي ثقة، صفة له بالوفاء، والوفاء داخل  
في الفضائل التي قدمنا ذكرها

وقد يتفنن الشعراء في المديح بأن يصفوا حسن خلق الإنسان، ويعددوا أنواع الأربع الفضائل التي قدمنا  
ذكرها وأقسامها وأصناف تركيب بعضها مع بعض، وما أقل من يشعر بأن ذلك داخل في الأربع الخلال  
على الانفراد أو بالتركيب، إلا أهل الفهم، مثل أن يذكروا من أقسام العقل: ثقابة المعرفة، والحياء،  
والبيان، والسياسة، والكفاية، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك مما  
يجري هذا المجرى

ومن أقسام العفة: القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما يجري مجراه.  
ومن أقسام الشجاعة: الحماية والدفاع، والأخذ بالتأثر، والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الأقران،  
والسير في المهامه الموحشة والقفار، وما أشبه ذلك  
ومن أقسام العدل: السماحة، ويرادف السماحة: التغاين، وهو من أنواعها، والانظام، والتبرع بالنائل،  
وإجابة السائل، وقرى الأضياف، وما جانس ذلك

وأما تركيب بعضها مع بعض، فيحدث منه ستة أقسام: أما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة:  
فالصبر على الملمات، ونوازل الخطوب، والوفاء بالإيعاد

وعن تركيب العقل مع السخاء: البر، وإنجاز الوعد، وما أشبه ذلك  
وعن تركيب العقل مع العفة: التنزه، فالرغبة عن المسألة، والاقتصار على أدنى معيشة، وما أشبه ذلك  
وعن تركيب الشجاعة مع السخاء: الإيتلاف والإخلاص، وما أشبه ذلك  
وعن تركيب الشجاعة مع العفة: إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم  
وعن السخاء مع العفة: الإسعاف بالقوت، والإيثار على النفس، وما شاكل ذلك

وجميع هذه التركيبات قد يذكرها الشعراء في أشعارهم، وسأذكر من جيد ما قالوه في ذلك صديقاً إن  
شاء الله تعالى، إلا أنني أبدأ قبل ذلك فأقول: إن كل واحدة من هذه الفضائل الأربع ذكرها، وسط بين

طرفين وقد وصف شعراء مصيبيون متقدمون قوماً بالإفراط في هذه الفضائل، حتى زال الوصف إلى الطرف المذموم، وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه في باب الغلو في الشعر من أن الذي يراد به .إنما هو المبالغة والتمثيل لا حقيقة الشيء

ومن الأخبار التي يحتاج إلى ذكرها في هذا الموضوع وشرح الحال فيها، ليكون ذلك مثلاً يبنى الأمر عليه. ويعلم به ما يأتي من مثله. أن كثيراً أنشد عبد الملك بن مروان قوله فيه

على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ ... أجادَ المُسدِّي سرَّدها وأذالها  
يؤوِّدُ ضِعِيفَ القَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِها وَيَسْتَطْلِعُ القَرْمُ الأَشْمُ احْتِمَالِها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحسن من قولك، حيث يقول له

وإذا تَجِيءَ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... شَهْبَاءٌ يَخْشَى الذائِدُونَ نِهَاها  
كُنْتَ المَقْدَمَ غَيْرَ لائِسِ جَنَّةٍ ... بالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبْطالِها

فقال: يا أمير المؤمنين، وصفتك بالحزم والعزم، ووصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق

والذي عندي في ذلك أن عبد الملك أصح نظراً من كثير. إلا أن يكون كثير غلط واعتذر بما يعتقد خلافه، لأنه قد تقدم من قولنا في أن المبالغة أحسن من الاقتصار على الأمر الأوسط ما فيه كفاية، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حيث جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة، على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة صاحبه، لا أن الصواب له ولا لغيره إلا لبس الجنة، وقول كثير يقصر عن الوصف

فلنرجع إلى ذكر مدائح الشعراء المحسنين، ثم نأتي بعد ذلك بصدر يشتمل على افتنانهم في المدح؛ ليكون مثلاً لما تقدم الإخبار عنه، وعبرة في اختيارات المدائح، فمن ذلك قول زهير بن أبي سلمى

يَطْلُبُ شَأْوَ امرَأَيْنِ قَدَمًا حَسَنًا ... نالا المُلُوكَ وبِذا هَذِهِ السُّوقَا  
هُوَ الجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأْوِهِمَا ... عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقَا

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَمًا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

ومن هذه القصيدة

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا ... يَلْقَ السَّامِحَةَ مِنْهُ والنَّدَى خَلَقَا  
لَيْثٌ بَعَثَرَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا ... ما كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا  
يَطْعَنُهُمْ ما ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَعْنُوا ... ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا ما ضَارِبُوا اعْتَنَقَا  
فَضْلُ الجَوَادِ عَلَى الخَيْلِ البِطَاءِ فَلَا ... يَعْطِي بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزَقَا  
هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَعِيَا بِخَطْبَتِهِ ... وَسَطَ النَّدَى إِذَا ما نَاطَقَ نَطَقَا  
لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَكْرَمَةٍ ... أَفَقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفَهُ الأَفُقَا  
ومن كلمة أخرى لزهير

هنالك إن يستخبلوا المال يُخبلوا ... وإن يسألوا يُعطوا وإن ييسرُوا يُغْلُوا  
وفيهمْ مقاماتٌ حسان وجوها ... وأنديةً يتأبها القولُ والفعلُ  
وإن جئتهم ألفت حَوْل بيوتهم ... مَجَالِسَ قد يُشقى بِأَحْلَامِهَا الجَهْلُ  
على مُكْثِرِهم حقٌّ من يعتريهم ... وعند المقلين السّماحةُ والبذلُ  
سعى بعدهم قومٌ ليكي يدركوهم ... فلم يدركوا ولم يلاموا ولم يألوا  
فَمَا كَانَ من خيرٍ أتوه فإنما ... توارثه آباءُ آبائهم قَبْلُ  
وهَلْ يَنْبِتُ الخطيَّ إلا وشيخه ... وتغرُسُ إلا في منابتها النَّخلُ

:ولزهير يمدح بني الصيда

إني سترحلُ بالمطَيِّ قصائدي ... حتّى تحلَّ على بني ورفاءِ  
مدحاً لهم يتوارثون ثناءها ... رهنً لأخريهم بطول بقاءِ  
حلماء في النادي إذا ما جئتهم ... جهلاء يوم عجاجة ولقاء  
مَنْ سالموا نالَ الكرامة كُلَّهَا ... أو حارَبُوا ألوى مع العنقاء  
وله:

إن البخيلَ ملوّمٌ حيثُ كانَ وَلَك ... نَ الجوادَ على علامتهِ هَرَمُ  
هو الجوادُ الذي يعطيك نائله ... عفواً ويظلم أحياناً فيظلمُ  
ومن ذلك قول الحطيئة في بني بغيض

وإنّ التي نكبتها عن مَعاشِرٍ ... عليّ غضاب أن صددتُ كما صدوا  
أتت آل شماسٍ بن لأي وإنما ... أتاها بهما الأحلام والحسبُ العدُ  
ومنها

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجُدُ  
أقلوا عليهم لا أباً لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا  
أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفوا وإن عقّدوا شدوا  
وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا  
وتعدّلني أفناء سَعِدَ عليهم ... وما قلتُ إلا بالذي علمتُ سَعْدُ  
ومن ذلك قول الأخطل

صمٌّ عن الجهل عن قيل الخنا خُرسٌ ... إذا أَلَمَّتْ بهم مكروهة صبروا  
شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا  
ومن ذلك ما أنشدنا أحمد بن يحيى

ميامين يرضون السياسة إن كُفوا ... ويكفون إن ساسوا بغير تكلف  
إذا صرفوا للحق يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهل الحيران لم يتصرّف

وإن كانَ فيهم مَوسِرٌ يَغْنِ فَضْلُهُ ... وإن كانَ فيهم مُعْسِرٌ يَتَعَفَّفُ  
:وأنشدنا أيضاً

وفتيانِ صِدْقٍ يا يِشْنَ صَحْبُهُمْ ... يَزِيدُهُمْ هَؤُلُ الجَنَابِ تاسِياً  
فإن يَكُ خيراً يُحْسِنُوا مَلاً به ... وإن يَكُ شراً يَحْسِبُوهُ تحاسِياً  
:وأنشدنا أيضاً

إذا المَحَلُّ أنسى العَفَّةَ الناسَ ذَبِيتُ ... وحامتُ عن الأحسابِ بَكْرُ بنِ وائِلِ

بهم بعضُ ما بالناسِ لكن يَرُدُّهُمْ ... حَيّاً وعَفافٌ عن دُنْيِ المَآكِلِ  
:وأنشدنا

يذكرني بشراً بكاءُ حَمَامَةٍ ... على فَنَنٍ من بَطْنِ بِيشَةَ مائِلِ  
فَتَى مِثْلُ صَفْوِ المَاءِ لَيْسَ بِبَاخِلٍ ... بخيرٍ ولا مُهْدٍ مَلاماً لبَاخِلِ  
ولا مَظْهَرِ أَحَدِوثَةِ السَّوْءِ مَعْجَباً ... بإعلانِهَا في المَجْلِسِ المَتَقَابِلِ  
تَرى أَهْلَهُ في نِعْمَةٍ وهو شَاخِبٌ ... طَوَى البَطْنِ مَخْمَاصُ الضَّحَى والأَصَائِلِ  
:وأنشدنا لمحمد بن زياد الحارثي

تخالَهُمُ لِلحَلَمِ صُماً عن الخِنا ... وَخُرْساً عن الفَحْشَاءِ عِنْدَ التَّهَاجُرِ  
ومَرَضَى إذا لاقوا حَياءً وعَفَّةً ... وعند الحِفاظِ كاللِيوثِ الخَوَادِرِ  
لَهُمْ ذُلٌّ إنصافٍ وَلِينٌ تَواضَعٍ ... وَمِنْ عَزَّهِمْ ذَلَّتْ رِقَابُ المَعَاشِرِ  
كَأَنَّ بِهِمْ وَصْماً يَخَافُونَ عَارَهُ ... وَلَيْسَ بِهِمْ إلا اتِّقَاءُ المَعَايِرِ  
ثم من الشعراء الآن من يجمل المديح، فيكون ذلك باباً من أبوابه حسناً أيضاً، لبلوغه الإرادة، مع خلوه  
من الإطالة، وبعد من الإكثار، ودخوله في باب الاختصار  
:فمن ذلك قول الحطبية

تَروُرُ امرأً يعطى على الحَمْدِ مَالُهُ ... ومن يعطِ أثْمانَ المِكارِمِ يَحْمِدُ  
يرى البخلَ لا يُبْقَى على المَرءِ مَالُهُ ... ويعْلَمُ أن المَالَ غيرُ مَحْلَدٍ  
كسُوبٌ ومُتَلَاَفٌ إذا ما سَأَلْتَهُ ... تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتِزَّازَ المُهَنَّدِ  
مَتَى تَأْتِيهِ تَعَشُّوْهُ إلى ضَوْءِ نارِهِ ... تَجِدُ خَيْرَ نارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ  
فقد تصرف في الأبيات الأول في أصناف المديح المتقدم ذكرها، وأتى بجماع الوصف وجملة المديح  
:على سبيل الاختصار في البيت الأخير

:ومن ذلك قول الشماخ

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيِّ يَسْمُو ... إلى الخِيراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ  
إذا ما رَأَيْتُ رَفَعْتَ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاها عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

وقد أوماً أبو السمط مروان بن أبي حفصة في مدحه شراحيل بن معن بن زائدة إيماءً موجزاً ظريفاً، أتى على كثير من المدح باختصار وإشارة بديعة، حيث قال

رأيت ابن معنٍ أنطقَ الناسَ جوده ... فكلفَ قولَ الشعرِ من كانَ مفحماً  
وأرخصَ بالعدلِ السلاحَ بأرضنا ... فما يبلغُ السيفُ المهندُ درهمًا  
ومن الشعراء أيضاً من يغرق في المدح بفضيلة واحدة أو اثنتين، فيأتي على آخر ما في كل واحدة منهما أو أكثره، وذلك، إذا فعل، مصاب به الغرض في الوقوع على الفضائل، ومقصر عن المدح الجامع لها؛ لكنه يجود المديح حينئذ كلما أغرق في أوصاف الفضيلة، وأتي بجميع خواصها أو أكثرها، وذلك مثلاً في الجرأة والإقدام، كما قال الفرزدق لسالم الغداني، حين قتل قاتل أخيه، العائد بجوار عبد الملك إذا كنتَ في دارٍ تخافُ بها الردى ... فصممَ كتصميمِ الغدانيِّ سالمٍ  
سخاً طلباً للوترِ نفساً بموته ... فماتَ كريماً عائفاً للملائمِ  
نقيُّ ثيابِ الذكرِ من دنسِ الخنا ... ينجي ضميراً مستدفً العزائمِ  
إذا همَّ أفرى ما به همٌّ ماضياً ... على الهولِ طلاعاً ثانياً العظامِ  
ولما رأى السلطانَ لا ينصفونه ... قضى بينَ أيديهم بأبيض صارمٍ

### أقسام المدح

وقد ينبغي أن يعلم مدائح الرجال، وهي التي صمدنا الكلام فيها في هذا الباب، تنقسم أقساماً بحسب الممدوحين من أصناف الناس في الارتفاع والاتضاع، وضروب الصناعات، والتبدي والتحضر، وأنه يحتاج إلى الوقوف على المعنى بمدح كل قسم من هذه الأقسام

### مدح الملوك

فأما إصابة الوجه في مدح الملوك، فمثل قول النابغة الذبياني في النعمان بن المنذر  
ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ  
بأنك شمسٌ والمُلوكُ كواكبٌ ... إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ  
ومثل ذلك قول نصيب في سليمان بن عبد الملك

أقولُ لركبٍ قافلينَ لقيتُهُم ... فقفا ذاتِ أوْشالٍ ومولاكِ قاربُ  
قفوا خبروني عن سليمانَ إنني ... لمعرفه من أهل ودان طالبُ  
فاعجوا فأنثوا بالذي أنتَ أهله ... ولو سكتوا أثنتُ عليكِ الحقائقُ  
هوَ البدرُ والناسُ الكواكبُ حوله ... وهل يشبهُ البدرَ المضيءَ الكواكبُ  
ومثل قول الحزین الكناني في عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وقد وفد عليه وهو عامل مصر

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمُوعِ ضَحَى ... وَقَدْ تَعَرَّضْتُ الْحِجَابُ وَالْخِدْمُ  
حَيِّثُهِ بِسَلَامٍ وَهُوَ مَرْتَفَقٌ ... وَضَجَةُ الْقَوْمِ عِنْدَ الْبَابِ تَزْدَحِمُ  
فِي كَفِّهِ خِيزْرَانٌ رِيحُهَا عَبَقٌ ... مِنْ كَفِّ أُرُوعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ  
يَغْضَى حَيَاءً وَيَغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يَكْلُمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ  
كَلَمًا يَدِيهِ رِبِيْعٌ غَيْرُ ذِي خَلْفٍ ... هُذِي خُرُوجٌ وَهْذِي عَارِضٌ هَزِمٌ  
ومثل قول أبي العتاهية في الهادي بن المهدي  
يَضْطَرِبُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا ... حَرَّكَ مُوسَى الْقَضِيبَ أَوْ فَكَّرُ

### مدح ذوي الصناعات

وأما مدح ذوي الصناعات، فإن يمدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة،  
فإن انضاف إلى ذلك الوصف بالسرعة في إصابة الحزم والاستغناء بحضور الذهن عن الإبطاء لطلب  
الإصابة، كان أحسن وأكمل للمدح، كما قال  
بَدِيهَتُهُ وَفِكْرَتُهُ سَوَاءٌ ... إِذَا بَعْدَ الصَّوَابِ مِنَ الْمُسْشِيرِ  
وكما قال أشجع  
بَدِيهَتُهُ مِثْلُ تَفْكِيرِهِ ... مَتَى رُمْتَهُ فَهُوَ مُسْتَجْمِعٌ  
وكما قال منصور النمري  
وَلَيْسَ لِأَعْبَاءِ الْأُمُورِ إِذَا اعْتَرَتْ ... بِمَكْتَرٍ لَكِنْ لَهْنٌ صَبُورٌ  
يَرَى سَاكِنَ الْأَوْصَالِ بَاسِطَ وَجْهِهِ ... يَرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ

### مدح القائد

وأما مدح القائد فيما يجانس البأس والنجدة، ويدخل في باب شدة البطش والبسالة، فإن أضيف إلى  
ذلك المدح بالجود والسماحة والتخرق في البذل والعطية، كان المديح حسناً، والنعته تاماً، إذ كان لهم  
السخاء أخوا الشجاعة، وكانا في أكثر الأمور موجودين في بعداء الهمم وأهل الإقدام والصولة  
وذلك كما قال بعض الشعراء في جمع البأس والجود  
فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِيهِ ... فَفِي بَاسِهِ شَطْرٌ وَفِي جُودِهِ شَطْرٌ  
فَلَا مِنْ بَغَاةِ الْخَيْرِ فِي عَيْنِهِ قَدَى ... وَلَا مِنْ زَنْبِيرِ الْحَرْبِ فِي أُذُنِهِ وَقَرٌ  
وكما قال منصور النمري في إفراده ذكر البأس وحده  
تَرَى الْخَيْلَ يَوْمَ الرُّوعِ يَظْمَأْنَ تَحْتَهُ ... وَتَرَوِي الْقَنَا فِي كَفِّهِ وَالْمَنَاصِلُ  
حَلَالٌ لِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ نَحْرُهُ ... حَرَامٌ عَلَيْهَا مَتْنُهُ وَالْكَوَاهِلُ

:وكما قال بشار بن برد

ألا أيُّها الحاسِدُ المُبتَغى ... نجومَ السماءِ بسعيِ أممٍ  
سمِعتُ بمكرمةِ ابنِ العلاءِ ... فأنشأتُ تطلبُها لَسْتُ ثُمَّ  
إذا عرضَ اللهوُ في صدره ... لها بالعطاءِ وضربَ البَهمِ  
يَلدُّ العطاءُ وسفكُ الدماءِ ... فيغدو على نِعمٍ أو نِقمٍ  
فقلْ للخليفةِ إن جئتُه ... نصيحاً ولا خيرَ في المتهمِ  
إذا أيقظتكَ حروبُ العدى ... فنبه لها غمراً ثُمَّ نَمْ  
فتى لا ينامُ على دِمنةٍ ... ولا يشربُ الماءَ إلا بدمٍ

### مدح السوقة

وأما مدح السوقة من البادية والحاضرة، فينقسم قسمين، بحسب انقسام السوقة إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب، وإلى الصعاليك والخراب والمتلصصة ومن جرى مجراهم فمدح القسم الأول: يكون بما يضاهاى القضايل النفسانية التي قدمنا ذكرها خالياً من مثل مدح الملوك ومن قدمنا ذكره من الوزراء والكتاب والقواد، وذلك مثل قول الشاعر

متراحمين ذؤو يسارهم ... يتعاطفون على ذوي الفقر  
وذؤو معاسرهم كأنهم ... من صدق عفتهم ذؤو وفّر

متجملين لطيب خيمهم ... لا يهلعون لنبوة الدهر  
ومدح القسم الثاني يكون بما يضاهاى المذهب الذي يسلكه أهله من الإقدام والفتك والتشمير والجلد واليقظ والصبر، مع التخرق والسماحة، وقلة الاكتراث للخطوب الملمة، كما قال تأبط شراً يمدح  
شمس ابن مالك

إني لمهدٍ من ثنائي فقاصد ... به لائن عمّ الصّدقِ شمسُ بن مالك  
أهزُّ به في ندوة الحيّ عطفه ... كما هزَّ عطفِي بالهجانِ الأوارك  
لطيفُ الحوايا يقسمُ الزادَ بينه ... سواءً وبين الذئبِ قسمَ المشارك  
يظلُّ بمومةٍ ويمسى بغيرها ... جَحيشاً ويعروري ظهورَ المهالكِ  
كأنَّ به في البُردِ أثناءَ حيّةٍ ... بعيدُ الخطى شتى النوى والمسالكِ  
ويسسُقُ وفدَ الريحِ من حيثُ تنتحي ... بمنخرقٍ من شدةِ المتداركِ  
إذا خاطَ عينيه كرى النومِ لم يزل ... له كالى من قلبِ شيخانٍ فاتك  
وإن طلعتُ أولى العدى فنفره ... إلى سلةٍ من صارمِ الغربِ باتك  
إذا هزّه في عظمِ قرنٍ تهللتُ ... نواجذُ أفواهِ المنايا الضواحكِ

قليل التشكي للمهم يصيبه ... رحيب مناخ العيس سهل المبارك  
وقال أبو كبير الهذلي

ولقد سريت على الظلام بمغشم ... جلد من الفتيان غير مثقل  
ممن حملن به وهن عواقد ... حبك النطاق فشب غير مهبل  
حملت به في ليلة مزوودة ... كرها وعقد نطاقها لم يحل  
فأتت به حوش الفؤاد مبطناً ... شهداً إذا ما نام ليل الهوجل  
ومبراً من كل غير حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل  
ما إن يمس الأرض إلا منكب ... منه وحرف الساق طي المحمل  
فإذا طرحت له الحصاة رأيته ... ينزو لوقعها نزو الأخيل  
وإذا يهب من المنام رأيته ... كرتوب كعب الساق ليس بزمل  
وإذا رميت به الفجاج رأيته ... ينضو مخارمها هوى الأجل  
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل  
يحمي الصحاب إذا تكون كريهة ... وإذا هم أزموا فمأوى العيل  
ثم نعقب الكلام في المديح بالكلام في الهجاء

### نعت الهجاء

إنه قد سهل السبيل إلى معرفة وجه الهجاء وطريقته، ما تقدم من قولنا في باب المديح وأسبابه، إذ كان الهجاء ضد المديح، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له، ثم ننزل الطبقات على مقدار قلة أصناف الأهاجي فيها وكثرتها.

فمن الهجاء المقذع الموجه ما أنشدناه أحمد بن يحيى

كائر بسعد إن سعداً كثيرة ... ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصراً  
ولا تدع سعداً للقرع وخلها، ... إذا أمنت، ورعيها البلد القفراً

يروعك من سعد بن عمرو جسومها ... وتزهّد فيها حين تقتلها خبراً

فمن إصابة المعنى في هذا الهجاء أن هذا الشاعر سلم لهؤلاء القوم أمرين يظن أنهما فضيلتان، وليستا بحسب ما وصفناه من الفضائل مصيبتين، وهما كثرة العدد وعظم الخلق، وغزا بذلك مغازي دلت على حذقه بالشعر، فمنها أن أدخل هجاءه لهم في باب الأقوال الصادقة لإعطائه إياهم شيئاً ومنعه له شيئاً آخر، وقصده بذلك لأن يظن أن قوله فيهم إنما هو على سبيل الصدق، وذكره إياهم بما هم من جيد وردي، ومنها ما بان من معرفته بالفضائل حتى ميز صحيحها من باطلها، فسلم الباطلة ومنه الصحيحة، ومنها أن قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذر به الكرام من قلة العدد، فإن الكرام أبداً فيهم قلة، كما قال

السموأل ابن عاديا



تَعِيرَنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدَنَا ... فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ

:وَمِنْ خَبِيثِ الْهَجَاءِ مَا أَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى أَيْضاً

إِنْ يَغْدُرُوا أَوْ يَفْجُرُوا ... أَوْ يَبْخُلُوا لَا يَحْفَلُوا

يَغْدُرُوا عَلَيْكَ مَرَجَلٌ ... يَنْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

فَمِنْ جُودَةِ هَذَا الْهَجَاءِ أَنَّ الشَّاعِرَ تَعَمَّدَ أَضْدَادَ الْفَضَائِلِ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَجَعَلَهَا فِيهِمْ، لِأَنَّ الْغَدْرَ ضِدَّ

الْوَفَاءِ، وَالْفَجْرَ ضِدَّ الصِّدْقِ، وَالْبَخْلَ ضِدَّ الْجُودِ، ثُمَّ أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ بِضِدِّ أَجْلِ الْفَضَائِلِ وَهُوَ الْعَقْلُ،

:حَيْثُ قَالَ

يَغْدُرُوا عَلَيْكَ مَرَجَلٌ ... يَنْ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

لِأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ أَفْعَالِ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالْبَهِيمِيَّةِ وَالْقَحَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ عَمِي الْقُوَّةِ الْمُمَيَّزَةِ، كَمَا

:قَالَ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِهِ فِي أَخْلَاقِ النَّفْسِ

:وَلِزِيَادِ الْأَعْجَمِ فِي غِيَاظِ بْنِ حَصِينِ بْنِ الْمَنْذَرِ

وَسَمِيتَ غِيَاظاً وَلَسْتُ بِغَائِظٍ ... عَدُوّاً، وَلَكِنَّ الصَّدِيقَ تَغِيْظُ

عَدُوَّكَ مَسْرُورٌ وَذُو الْوَدِّ لِلَّذِي ... أَتَى مِنْكَ مِنْ غِيْظٍ عَلَيْكَ كَظِيْظُ

نَسِيٍّ لَمَّا أُولِيْتَ مِنْ صَالِحٍ مَضَى ... وَأَنْتَ لَتَعْدَادِ الذُّنُوبِ حَفِيْظُ

تَلِيْنٌ لِأَهْلِ الْغَلِّ وَالْعَمْرِ مِنْهُمْ ... وَأَنْتَ عَلَى أَهْلِ الصِّفَاءِ فَظِيْظُ

وَمِنْ الْهَجَاءِ أَيْضاً مَا تَجَمَّلَ فِيهِ الْمَعَانِي، كَمَا يَفْعَلُ فِي الْمَدْحِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ حَسَناً إِذَا أَصِيبَ بِهِ الْغَرَضُ

الْمَقْصُودُ مَعَ الْإِيْجَازِ فِي اللَّفْظِ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ يَزِيدِ الْكَنْدِيِّ فِي مَهَاجَاتِهِ جَرِيْراً وَمَعَارَضَتِهِ

:إِيَّاهُ فِي قَوْلِهِ

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيَّكَ بَنُو تَمِيمٍ ... حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابَا

:وَقَالَ

لَقَدْ غَضِبْتَ عَلَيَّ بَنُو تَمِيمٍ ... فَمَا نَكَأْتُ لِعُضْبَتَيْهَا ذُبَابَا

لَوْ اطَّلَعَ الْغَرَابُ عَلَى تَمِيمٍ ... وَمَا فِيهِمْ مِنَ السُّوْءَاتِ شَابَا

:وَمِثْلُ قَوْلِ مَرَّةَ بْنِ عَدَاءِ الْفَقْعَسِيِّ

وَإِذَا تَسَرَّكَ مِنْ تَمِيمٍ خَصْلَةٌ ... فَلَمَّا يَسُوءُكَ مِنْ تَمِيمٍ أَكْثَرُ

:وَقَالَ الْآخَرُ

وَيَقْضِي الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ تَيْمٌ ... وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ وَهُمْ شُهُودُ

:وَلِلْحَكَمِ الْخَضْرِيِّ

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ رُقِمُوا بِالْوَمِّ ... كَمَا رَقِمْتُ بِأَذْرَعِهَا الْحَمِيرُ

:وَمِثْلُ قَوْلِ أَعْشَى بَاهِلَةَ

بنو تيم قراره كل لوم ... لكل مصب سائلة قرار

:وقد تبع أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الاعشى في هذا المعنى فقال  
أضحوا بمستن سيل اللوم وارتفعت ... أموالهم في هضاب المظل والعلل  
لو كان يخفى على الرحمن خافية ... من خلقه خفيت عنه بنو أسد  
ومثل قول الآخر

قوم إذا ما جنى جانيهم أمنوا ... من لوم أحسابهم أن يقتلوا قودا  
ومثل قول زياد الأعجم

إني لأكرم نفسي أن أكلفها ... هجاء جرم ولما يهجهم أحد  
ماذا يقول لهم من كان هاجيهم ... لا يبلغ الناس ما فيهم وإن جهدوا  
ومثل قول أوس بن مغراء

فلست بعافٍ عن شتيمة عامر ... ولا حابسي عما أقول وعيها  
تري اللوم ما عاشوا جديداً عليهم ... وأبقى ثياب اللابسين جديداً  
لعمرك ما تبلى سراويل عامر ... من اللوم ما دامت عليها جلودها  
وهذه الأبيات قالها أوس وهو يهاجي النابغة الجعدي، فيقال: إن النابغة كان يقول: إني وأوس بن مغراء  
لنبتدر بيتاً ما قلناه بعد، لو قاله أحدنا لقد غلب على صاحبه

.فلما قال أوس البيت الاخير، قال النابغة: هذا هو البيت الذي كنا نبتدره، فغلب أوس عليه

:ومثل قول عباس بن مرداس السلمي في سفيان بن عبد يغوث النضري  
وأوعد وقل ما شئت إنك جاهل ... على أنما أنت امرؤ من بني نصر  
وما أجود ما قال الفرزدق في عبد الله بن عمير الليثي حين هرب من أبي فديك الخارجي وكان يتمنى  
لقاء الخوارج كهجاء

تمنيتهم، حتى إذا ما لقيتهم ... تركت لهم عند الجلال السرادقا  
وأعطيت ما تُعطى الحليلة بعلها ... وكنت حبارى إذ رأيت البوارقا  
.ففي قوله: ما تعطى الحليلة بعلها، مع إيجازه، عجائب، وكذلك في قوله: حبارى  
.ومنهم من يفرط في ذكر نقيصة واحدة، كما يغلو عند المدح في فضيلة واحدة  
:فمن ذلك للحطيئة يفرق في ذكر البخل وحده

كددت بأظفاري وأعملت مغولي ... فصادفت جلوداً من الصخر أملسا

تشاغل لما جئت في وجه حاجتي ... وأطرق حتى قلت قد مات أو عسى  
وأجمعت أن أنعاه حين رأيته ... يفوق فواق الموت حتى تنفسا  
فقلت له: لا بأس لست بعائد ... فأفرخ تلوته السمادير مبلسا

:ولجبر في ذكر الجهل وحده

ولا تتقون الشرَّ حتى يصيبكم ... ولا تعرفون الأمر إلا تدبراً

ثم ينظر أقسام المديح وأسبابه، فيجري أمر الهجاء بحسبها في المراتب والدرجات والأقسام، ويلزم

ضد المعنى الذي يدل عليه إذ كان المديح ضده الهجاء

.ولنتبع القول في الهجاء: القول في المراثي

### نعت المراثي

إنه ليس بين المراثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل: كان وتولى

وقضى نحبه وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأييد الميث إنما هو بمثل

ما كان يمدح به في حياته، وقد يفعل في التأييد شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما

جرى مجراها، وهو أن يكون الحي وصف مثلاً بالوجود، فلا يقل: كان جواداً ولكن بأن يقال: ذهب

الوجود أو فم للوجود بعده ومثل: تولى الوجود وما أشبه هذه الأشياء

:كما قالت ليلي الأخيلية ترثي توبة ابن الحمير بالنجدة على هذه السبيل

فليس سناناً الحرب يا توب بعدها ... بغازٍ ولا غادٍ بركبٍ مسافرٍ

ومن الشعراء من يرثي بكاء الأشياء التي كان الميث يزاولها، وعند ذلك ومثله يحتاج إلى أن يعلم صحة

المعنى فيما يتكلم به من مثل هذه الأشياء، فإنه ليس من إصابة المعنى أن يقال ف كل شيء تركه

.الميث: إنه يبكي عليه، لأن من ذلك ما إن قيل إنه بكى عليه كان سبة وعيباً لاحقين به

فمن ذلك مثلاً إن قال قائل في ميث: بكتك الخيل إذ لم تجد لها فارساً مثلك، فإنه مخطئ، لأن من

شأن ما كان يوصف في حياته بكده إياه، أن يذكر اعتباطه بموته، وما كان يوصف بالإحسان إليه في

.حياته أن يذكر اغتمامه بوفاته

ومن ذلك إحسان الخنساء في مراثيتها صخراً وإصابتها المعنى، حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس

:صخر بموته

فقد فقدتك حذفةً فاستراحت ... فليت الخيل فارسها يراها

ولو قالت: فقدتك حذفة فبكت، لأخطأت، بل إنما يجب أن يبكي على الميث ما كان يوصف إذا

:وصف في حياته بإغاثته الإحسان إليه، كما قال كعب بن سعد الغنوي في مراثية أخيه

ليبكك شيخٌ لم يجد من يعينه ... وطاوى الحشى نائي المزارِ غريبٌ

:وكما قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي

ليبكك الشربُ والمدامةُ وال ... فتیان طراً وطامع طمعاً

وذاثُ هدمٍ عارٍ نواشرها ... تصمتُ بالماءِ تولباً جدعاً

والحيُّ إذ حاذروا الصباحَ وقد ... خافوا مُغيراً وسائراً تلعا

فيجب أن يتفقد مثل هذا من إصابة الغرض والانحراف عنه.  
وإذ قد تبين بما قلنا آنفاً إنه لا فصل بين المدح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى، فإصابة المعنى به  
ومواجهة غرضه هو أن يجري الأمر فيه على سبيل المدح  
فمن المراثي التي تشته في المديح استيعاب الفضائل التي قدمنا ذكرها والإتيان عليها، مثل قول كعب  
بن سعد الغنوي يرثي أخاه

لعمري لئن كانت أصابت منية ... أخي والمنايا للرجال شعوب  
لقد كان، أما حلمه فمروح ... علينا، وأما جهله فغريب  
أخي ما أخي، لا فاحش عند بيته ... ولا ورع عند اللقاء هيب  
فقد أتى في هذه الأبيات بما وجب أن يأتي في المراثي، إذا أصيب بها المعنى، وجرت على الواجب،  
أما في البيت الأول فيذكر ما يدل على أن الشعر مرثية لهالك لا مديح لباقي، وأما سائر الأبيات الأخر  
فتجمع الفضائل الأربع التي هي العقل والشجاعة والحلم والعفة، ثم افتن كعب في هذه المرثية في  
ذلك، وزاد في وصف بعض الفضائل ما لم يخرج به عن استيفائه، وهو قوله  
حليم إذا ماسورة الجهل أطلقت ... حبي الشيب للنفس اللجوج غلوب  
كعالية الرمح الرديني، لم يكن ... إذا ابتدر الخيل الرجال يخيب

فإني لباكيه وإني لصادق ... عليه، وبعض القائلين كذوب  
ليبك شيخ لم يجد من يعينه ... وطاوى الحشا نائي المزار غريب  
جموع خلال الخير من كل جانب ... إذا جاء جياء بهن ذهوب  
فتى لا يبالي أن يكون بجسمه ... إذا نال خلات الكرام شحوب  
حليم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب  
إذا ما تراءاه الرجال تحفظوا ... فلم تنطق العوراء وهو قريب

ومثل قول أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الأسدي بجميع الفضائل التي ذكرناها إلا العفة وحدها  
:فإنه ترك ذكرها، إلا أنه في بعض القصيدة وصفه بالكمال، وفي الكمال كل فضيلة من العفة وغيرها

أبا دليجة من يكفي العشيرة إذ ... أمسوا من الأمر في لبس ولبال  
أم من يكون خطيب القوم إذا حفلوا ... لدى الملوك ذوي أيد وإفضال  
أم من لأهل لواء في مسكعة ... من خصمهم لبسوا حقاً بإبطال  
أم من لحى أضاعوا بعض أمرهم ... بين القسوط وبين الدين دلال  
فرجت غمهم وكنت غيظهم ... حتى استقرت نواهم بعد تزوال  
فقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس العقل والرأي واللسن ونحو ذلك، وقال  
أبا دليجة من توصي بأرملة ... أم من لأشعث ذي طمرين طمال

وما خليجٌ من المروتِ ذو حدبٍ ... يرمي الضريزَ بخشبِ الطلحِ والضالِ  
يوماً بأجودَ منه حينَ تسألهُ ... ولا مغبٌ بترحٍ بين أشبالِ  
ليثٍ عليه من البرديِّ هبريةٌ ... كالمزبرانيِّ عيالٍ بأوصالِ  
يوماً بأجزا منه جدٌ بادرةٍ ... على كمِّي بمهو الحدِّ فصالِ  
فقد رثاه في هذه الأبيات بما جانس البذل والسماحة والجود والشجاعة، ولم يذكر العفة، إلا أنه قال:  
في أول القصيدة

أُمُ حصانٌ فلم تضربُ بكلتها ... قد طُفْتُ في كل هذا الناسِ أحوالي  
على امرئٍ سوقَةٍ ممن سمعتُ به ... أندى وأكملَ منه أيُّ إكمالِ  
وقال أوس يرثي فضالة أيضاً

أيتها النفسُ أجملِي جزعاً ... إن الذي تحذرين قد وقعاً  
إن الذي جمعَ السماحةَ ... والنجدةَ والحزمَ والقوى جمعاً  
الألمعي الذي يظن لك الظَّ ... نَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعاً  
فقد جمع في هذه الأبيات المراثية بجميع الفضائل، ووضع الشيء من ذلك في موضعه  
ومن المراثي التي تشبه في المديح اقتضاب المعاني واختصار الألفاظ، ما قاله أوس في قصيدته يرثي  
فضالة التي أولها

ألم تكسفِ الشمسُ شمسُنها ... ر مع النجم والقمرِ الواجب  
لهلك فضالة لا تستوي ال ... فقوؤ ولا خلَّةُ الذاهِبِ  
وأفضلتَ في كلِّ شيءٍ فما ... يقاربُ سعيكَ من طالبِ  
نجيحٍ مليحٍ أخو ماقطٍ ... نقابٌ يخبرُ بالغائبِ  
ويكفي المقالةَ أهلَ الدحا ... لِ غيرِ معيبٍ ولا عائبِ  
في ظاهر النظر أن يظن بنا خطأ في وضعنا مليح موضع المدح بالفضائل الحقيقية، إذ كانت الملاحظة لا  
تجري مجرى الفضائل النفسية، لأن المليح في هذا الموضع ليس هو من ملاحظة الخلق، لكنه على ما  
حكى عن أبي عمرو أنه المستشفى برأيه، قال: وهو من قولهم: قريش ملح الأرض، أي الذي يستشفى  
بهم، والذي يشهد على ما قاله أبو عمرو قول أوس بن حجر  
نقاب يخبر بالغائب

لأن هذا من جنس الرأي والحدس  
وقول الشماخ في عمر بن الخطاب  
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسقي  
وقول الحطيئة يرثي علقمة بن علاثة

فما كان بيني لو لقيتك سالماً ... وبين الغنى إلا ليالٍ قلائل  
ولو عشت لم أملل حياتي وإن تمت ... فما في حياة بعد موتك طائل

ومنهم أيضاً من يفرق في وصف فضيلة واحدة على حسب ما تقدم، وتكون جميع الأحوال في المراثي جارية على حسب أحوال المديح، وفي ما تقدم في باب المديح من وصف ذلك ما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

ولنتبع كلامنا في المراثي الكلام في التشبيه

### نعت التشبيه

يجب أن نذكر أولاً معنى التشبيه، ثم نشرع في وصفه، فنقول: إنه من الأمور المعلوم أن الشيء لا يشبه ولا يغيره من كل الجهات، إذ كان الشئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغير البتة اتحداً، فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفردهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد.

ومما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف العليمي يذكر صوت جرع رجل قراه اللب:  
فعب دخالاً جرعه متواتر ... كوقع السحاب بالطراف الممدد  
فهذا المشبه نما شبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذي من آدم، ومن جودته أنه لما كانت الأصوات تختلف، وكان اختلافها إنما هو بحسب الأجسام التي تحدث الأصوات اصطكاكها، فليس يدفع أ، اللب وعصب المرئ اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت الجرع قريب الشبه من الأديم. الموتور والماء اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت المطر.  
وعند سلوك هذه السبيل في تعرف جودة التشبيه يستجد قول جبهاء الأشجعي في تشبيه صوت حلب:  
عنز بصوت الكير إذا نفخ

كأن أجيج الكير إرزام شخبها ... إذا امتاحها في محلب الحي مائخ  
وقد قال أوس بن حجر يشبه ارتفاع أصواتهم في الحرب تارة، وهمودها وانقطاعها تارة، بصوت التي  
تجاهد أمر الولادة

لنا صرخة ثم إسكاته ... كما طرقت بنفاس بكر  
ولم يرد المشتبه في هذا الموضع نفس الصوت، وإنما أراد حاله في أزمان مقاطع الصرخات، وإذا نظر في ذلك وجد السبب الذي وفق بين الصوتين واحداً، وهو مجاهدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد في الصرخة.

:ومن جيد التشبيه قول الشماخ يذكر لواذ الثعلب من العقاب

تلوّدُ ثعلبُ الشرفين منها ... كما لاذ الغريمُ من التبييع

وقد يختلف اللوذان بحسب اختلاف اللاتدين، فأما التبييع فهو ملح في طلب الغريم لفائدة يرومها منه،

والغريم بحسب ذلك مجتهد في الروغان واللواذ خوفاً من مكروه يلحقه، وكذلك الثعلب والعقاب

.سواء، لأن العقاب ترجو شبعها، والثعلب يخاف موته

:وقال الشماخ

كأنَّ على أوراكِها من لعبه ... وخيفةً خطميّ بماءٍ مرجح

فشبه لعاب الفحل إذا ظهر على أورك الأتن عند كدمه إياها بالخطمي، وهو شبيه به في قوام الثخن

وفي الرغوة وفي اللون أيضاً، وذلك أن الحمار إنما يكثر كدمه الأتن في الربيع عند خضمه الرطب

.وأشره في ذلك الوقت

:وقد أحسن الشماخ أيضاً في قوله حين شبه أضلاع الناقة وبرى السير إياها بالقسي الموترة

وقربتُ مبراةً كأنَّ ضلوعها ... من الماسخياتِ القسيِّ الموترِ

فقد أحسن الشماخ في هذا التشبيه من قبل اجتماع الأضلاع والقسي الموترة في الشكل والتوتر

.بالأعصاب والأوتار، ولم يرد إلا الشكل فقط، وقد أتى على ما فيه

:ولابن أحمر الباهلي يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة

حتّى صبحنا طاوياً ذا شرةٍ ... وفؤادُه زجلٌ كعزف الهدهدِ

.فتواتر نبض قلب الفرس إذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة عزف الهدهد

:وللمرار

لها قلاصُ نعامٍ يرتعين بها ... كأنهنَّ سيّ لابسُو الهدم

فما أحسن ما شبه انسداد فواضل ريش النعام بانسداد الأطمار الرثة على اللابس لها، ولا سيما السبي،

فإن في مشيهم أعجمية تشبه مشي النعام، وفي ألوان ثيابهم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام، ففي

.الشيئين اشتراك في معان كثيرة

وقد يقع في التشبيه تصرف إلى وجوه تستحسن، فمنها: أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد

:وألفاظ يسيرة، كما قال امرؤ القيس

له أبطالا ظبيّ وساقاً نعاميةً ... وإرخاءُ سرحانٍ وتقريبُ تنفلٍ

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء، وذلك أن مخرج قوله: له أبطالا ظبي، إنما هو على أن له أبطالين

. كأيطلي ظبي، وكذا ساقين كساقين نعامية، وإرخاء كإرخاء السرحان، وتقريب كتقريب التنفل

:ومنها: أن يشبه شيء بأشياء في بيت أو لفظ قصير، وذلك كما قال امرؤ القيس

وتعطو برخصٍ غيرِ شثنٍ كأنّه ... أساريغٌ ظبيّ أو مساويكُ إسحلٍ

ومنها: أن يشبه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال، كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها

ومشدودة السكّ موضونة ... تضاءل في الطيّ كالمبرد

ثم وصفها في حال النشر في هذه الأبيات فقال

تفيض على المرء أردائها ... كفيض الآتي على الجدجد

وكما قال يزيد بن الطثيرة يشبه رأسه في حال كون الجمّة عليه وبعد حلق ثور أخيه إياها

فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت ... عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

فقد أحسن يزيد في هذا البيت، حيث تصرف فيه في التشبيه، وأحسن أيضاً في تشبيه رأسه بعد الحلق

بالصخرة، وذلك أنه قريب منها في الضخامة والملامسة واللون المائل إلى الخضرة

وقد قال بعضهم في مثل ذلك

جلاميذ أملاء الأكف كأنها ... رؤوس رجالٍ حلقت في المواسم

وقال الحسين بن مطير الأسدي، يشبه أفعال رجل مات وكان جواداً

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

### التصرف في التشبيه

ومن أبواب التصرف في التشبيه أن يكون الشعراء قد لزموا طريقاً واحداً في تشبيه شيء بشيء، فيأتي

الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي أخذ فيها عامة الشعراء

:مثال ذلك أن أكثر الشعراء يشبهون الخوذ بالبيض، كما قال سلامة بن جندل

كأنّ النعام باض فوق رؤسهم ... بنهي القذاف أو بنهي مخفّق

وقال معقر البارقي

كأنّ نعام الدوّ باض عليهم ... وأعينهم تحت الحبيك الجواحر

وأكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه

:قال أبو شجاع أحد بني سلامان بن مفرج من الأزد

فلم أرَ إلا الخيل تعدو كأنما ... سنورها فوق الرؤوس الكواكب

وربما كان الشعراء يأخذون في تشبيه شيء بشيء، والشبه بين هذين الشيئين من جهة ما، فيأتي شاعر

آخر بتشبيه من جهة أخرى، فيكون ذلك تصرفاً أيضاً

:مثال ذلك أن جل الشعراء يشبهون الدرع بالغدير الذي تصفقه الرياح، كما قال أوس بن حجر

وأملس صولياً كنهى قرارة ... أحسن بقاعٍ نفح ربحٍ فأجفلا

وقال آخر

وعلى سابعه الذبول كأنها ... سوق الجنوب حبابٍ نهى مفرط



وكثير من الشعراء ينحون في تشبيه الدروع هذا المنحى، وإنما يذهبون إلى الشكل، وذلك ن الريح تفعل بالماء في تركيبها إياه بعضاً على بعض ما يشبهه في حال التشكيل بحال الدرع في مثل هذا الشكل، فقال سلامة بن جندل عادلاً عن تشبيه الشكل إلى تشبيه اللين، وذلك أن اللين من دلائل جودة الدرع لصغر قتيورها وحلقها

فألقوا لنا أرساناً كل نجية ... وسابغة كأنها متن خرنق

وقال يذكر بريقها، وهو وجه غير الوجهين الأولين

مداخلة من نسج داود سكتها ... كمنكب ضاح من عماية مشرق

ومن التشبيه الجيد للحكم الخضري يصف غليان القدر بما فيها من قطع اللحم

كأن جذول الناب فيها إذا غلت ... دعاميص تخشى صائداً فتعوم

ولقيس بن زهير

كأن خذاريق السواعد بيننا ... مغالي غواة يلعبون بها لعباً

وللزبيان أحد بني عوافة بن سعد بن زيد

وقد سقوهن سجلاً فاستقوا ... من أجن كأنهن الزنبق

ثم لتتبع القول في التشبيه القول في الوصف

## نعت الوصف

أقول: الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني، كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم بأظهرها فيه وأولاها، حتى يحكيه بشعره، ويمثله للحس بنعته: فمن ذلك قول الشماخ يصف أرضاً تسير النبالة فيها

خلت غير آثار الأراجيل ترتمي ... تقعقع في الآباط منها وفاضها

فقد أتى في هذا البيت بذكر الرجالة وبين أفعالها بقوله: ترتمي، وعن الحال في مقدار سيرها بوصفه

تقعقع الوفاض، إذ كان في ذلك دليل على أنه الهرولة أو نحوها من ضروب السير، ودل أيضاً على

الموضع الذي حملت فيه هذه الرجالة الوفاض، وهي أوعية السهام، حيث قال: في الآباط، فاستوعب

أكثر هيئات النبالة، وأتى في صفاتها بأولاها وأظهرها عليها وحكاها، حتى كأن سامع قوله يراها

ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي يصف حال السيل عند إقلاع السحاب وسكون المطر

لكل مسيل من تهامة بعد ما ... تقطع أقران السحاب عجيج

ومنه قول رجل من هذيل يصف حال القوم في الحرب عند الجلاء

كغماغم الثيران بينهم ... ضرب تغمض دونه الحديق

ومثله قول معاوية بن خليل النصري، من نصر بن قعين، يذكر نباهة حيه، وأنه أشهر من حذلم، حي  
آخر:

فنحن الثريا وعيوقها ... ونحن السماكان والمرز  
وأنتم كواكب مجهولة ... ترى في السماء ولا تعلم  
ولديدي بن الصمة يصف آثار خيل وإبل، اطردها فنجا بها  
ألا هل أتاه ما ركبا جياذه ... وما قد عقرتنا من صفي ومن قرم  
وأصبحن قد جاوزن أسفل ذي حُسا ... وآثارها فوق المضيح كالرقم  
ولعبد الرحمن بن عبد الله، المعروف، بالقس يصف إصغاء السامعين إلى الغناء الحسن المطرب، وهو  
في سلامة

إذا ما عَجَّ مزهرها إليها ... وعاجت نحوه أذن كرام  
فأصغوا نحوه الأسماع حتى ... كأنهم وما ناموا نيام  
وللمرار بن منقذ أحد بلعدوية يصف، الفرس الكريم  
ذو مراح فإذا وقرته ... فذلول حسن الخلق يسر  
وليزيد بن مالك الغامدي يصف فعل سنايك الخيل في الأرض  
يثرن بسهل الأرض مما يطسنه ... عجاجاً وبالصفاح نار الحباح  
ولعدي بن الرقاع العاملي يصف فعل سنايك الحمامين إذا عدوا  
يتعاوران من الغبار ملاءة ... غبراء محكمة هما نسجاها  
تطوى إذا علوا مكاناً ناشراً ... وإذا السنايك أسهلت نشرها  
ولذي الرمة

ترى الخود يكرهن الرياح إذا جرت ... ومي بها لولا التخرج تفرخ  
إذا ضربتها الريح في المرط أشرفت ... روادفها وانضم منها الموشع  
ولنتبع القول في الوصف القول في النسب

### نعت النسب

أقول: إن كثيراً من الناس يحتاج إلى أن يعلم أولاً ما النسب، ونحن نحده فنقول: إن النسب ذكر  
الشاعر خلق النساء وأخلاقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهن  
وقد يذهب على قوم أيضاً موضع الفرق ما بين النسب والغزل، والفرق بينهما أن الغزل هو المعنى  
الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله، فكأن النسب ذكر الغزل، والغزل  
المعنى نفسه، والغزل إنما هو التصابي والاستهتار بمودات النساء، ويقال في الإنسان: إنه غزل، إذا كان  
متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء، وتجانس موافقاتهن لحاجته إلى الوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن

إليه، والذي يميلهن إليه هو الشمائل الخلوة، والمعاطف الطريفة، والحركات اللطيفة، والكلام المستعذب، والمزاج المستغرب، ويقال لمن يتعاطى هذا المذهب من الرجال والنساء: متشاج، وإنما هو متفاعل من الشجا، أي متشبه بمن قد شجاه الحب.

وإذ قد بان أن الذي قلناه على ما قلنا، فيجب أن يكون النسب الذي يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصباية، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة، وما كان فيه من التصابي والرقّة، أكثر مما يكون فيه من الخشن والجلادة، ومن الخشوع والذلة، أكثر مما يكون فيه من الإباء والعز، وأن يكون جماع الأمر ما ضاد التحفظ والعزيمة، ووافق الانحلال والرخاوة، فإذا كان النسب كذلك فهو المصاب به الغرض.

وقد يدخل في النسب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمام الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الدائرة.

وجميع ذلك إذا ذكر احتيج أن تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة، وممرض الأسف والمنازعة، ولست أذكر متى سمعت في التشوق بآثار الديار أوجز ولا أجمع ولا أدل على لاعج الشوق ومكمد الوجه من: قول محمد بن عبيد السلاماني أحد، بني سلامان بن مفرج من الأزد:

فلم تدع الأرواح والماء والبلى ... من الدار إلا ما يشوق ويشغف

ولعمري ان عمرو بن أحمر الباهلي قد أوجز وأبان عن شديد تشوق وعظيم تحسر بقوله:

معارف تلوى بالفؤاد وإن تقل ... لها بيني لي حاجة لم تكلم

فأما قوله: إنها لم تكلم، فهو تجاهل الهائم وتدله الواله، فإنه قد يحتاج إلى أن يكون في شعر الواق التحير وآية التلدد.

وممن شاقته المنازل صخر الخضري، وقد مر على ريع كانت خلته كأس تحله، فقال:

بليت كما يبلى الرداء ولا أرى ... جناباً ولا أكناف ذروة تخلق

ألوى حيازيمي بهن صباية ... كما يتلوى الحية المتشرق

وممن شافه البرق، فأحسن وصف ما يثيره من الشوق: حبيش ابن نظر العامري، حيث يقول ويذكر:

خفقان قلبه

أجدك ما يبدو لك البرق مرة ... من الدهر إلا ماء عينيك يذرف

وقلبك من فرط اشتياق كأنه ... يدا لامع أو طائر يتصرف

ولرجل من عيس:

إذا الله أسقى دمتين ببلدة ... من الأرض سقيا رحمة فسقاها

نزلنا بهذي نزلة ثم نزلة ... بهذي فطاب المنزلان كلاهما

فبت أشيم البرق مرتفقا به ... يدا عن يد حتى ونى منكباهما

:وقال الشماخ

رأيت سنا برقٍ فقلتُ لصاحبي ... بعيدٌ بفلجٍ ما رأيتُ سحيقُ  
فباتَ مهمماً لي يذكّرني الهوى ... كأنّي لبرقٍ بالحجازِ صديقُ  
وباتَ فؤادي مستخفاً كأنّه ... خوافي عقابٍ بالجناحِ خفوقُ  
فأما النسيب نفسه فقد تقدمت أوصافنا له

ومما أختم به القول أن المحسن من الشعراء فيه، هو الذي يصف من أحوال ما يجده ما يعلم به كل  
ذي وجد حاضر أو دائر أنه يجد أو قد وجد مثله، حتى يكون للشاعر فضيلة الشعر

:فمن ذلك قول أبي الصخر الهذلي، فإنه يصف ما أرى أن كل متعلق بمودة يجد مثله وهو

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أमत وأحيا والذي أمره الأمرُ

لقد كنتُ آتيها وفي النفس هجرها ... بتاتاً لأخرى الدهر ما طلع الفجرُ

فما هو إلا أن أراها فجاءةً ... فأبهتُ لا عرفٌ لدي ولا نكرُ

وأنسى الذي قد كنتُ فيه هجرتها ... كما قد تنسى لبَّ شاربها الخمرُ

وفي هذه القصيدة أيضاً موضع آخر دال على إفراط المحبة، ومبين عن سجية في اهل الهوى عامة،

:وهو قوله

ويمنعني من بعض إنكارٍ ظلمها ... إذا ظلمتُ يوماً وإن كان لي عذرُ

مخافةً أني قد علمتُ لئن بدا ... لي الهجرُ منها ما على هجرها صبرُ

وإني لا أردي إذا النفس أشرفت ... على هجرها ما يبلغن بي الهجر

:وأما قول الشاعر

يوذُ بأن يُمسي سقيماً لعلّها ... إذا سمعتُ عنه بشكوى ترأسلهُ

ويهتزُّ للمعروفِ في طلبِ العلى ... لتحمدَ يوماً عند ليلَى شمائلهُ

فهو من أحسن القول في الغزل، وذلك أن هذا الشاعر قد أبان في البيت الأول عن أعظم وجد وجده

محب، حيث جعل السقم أيسر مما يجد من الشوق، فإنه اختاره ليكون سبيلاً إلى أن يشفى بالمراسلة

من الوجد، فهو أيسر ما يتعلق به الواق، وأدنى فوائد العاشق، وأبان في البيت الثاني عن إعظام منه

شديد لهذه المرأة، حيث لم يرض نفسه لها عن سجيته الأولى، حتى احتاج إلى أن يتكلف سجايا

مكتسبة يتزين بها عندها، وهذه غاية المحبة، ووصف الشاعر لذلك هو الذي يستجاد لا اعتقاده، إذ

كان الشعر إنما هو قول، فإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد، لأنه قد يجوز أن يكون المحبون

معتقدين لأضعاف ما في نفس هذا الشاعر من الوجد، فحيث لم يذكروه، وإنما اعتقدوه فقط، لم

يدخلوا في باب من يوصف بالشعر

:ومن النسيب قول طريح بن إسماعيل الثقفي

بان الخليط وفرقَ الشملُ ... وعلى التفرق ما بدا الوصلُ  
أبكأك منهم ما فرحتَ به ... ولكلِّ مولدٍ فرحةٌ ثكلُ  
ومن هذه الأبيات

ممسودةٌ خلقت فعليتها ... خوطٌ ومعقدٌ مرطها عبلى  
تضعُ البريمَ فيستديرُ على ... فعمِّ ألفٌ كأنه رملُ  
يسجى إذا ما قلتُ أخفضهُ ... ويمورُ منكشطاً إذا يعلو  
وقيامها حسنٌ وضحكتها ... عند العجيبِ تبسمُ رتلُ  
وغلًا بها عظمٌ فألحقها ... بنسائها ولداتها بسلُ

:ولأبي صخر الهذلي في التصابي والخلاعة والإصرار على التعلق بمودات النساء  
أراد الشيبُ مني ختلَ نفسي ... لأنسى ذكرَ رباتِ الحجالِ  
إذا اختصمَ الصبا والشيبُ عندي ... فأفلجتُ الشبابَ فلا أبالي  
فقد أتينا من ذكر نعوت الأغراض التي تنتحيها الشعراء من المعاني، وهي المديح والهجاء وغيرهما، مما  
عددناه وشرحنا أحواله على ما فيه كفاية لمن له فهم وعنده نظر وفحص  
وهذه المعاني التي ذكرناها من أغراض الشعراء إنما هي أجزاء من جملة المعاني، وتكلمنا به فيها مع ما  
بيناه من أحوالها مثلاً لغيرها، واعتباراً فيما لم نذكره منها

### المعاني الشعرية

فأما ما يعم جميع المعاني الشعرية، فالآن حين نبتدى بذكر ذلك وتعديده  
فمن ذلك صحة التقسيم

### صحة التقسيم

وهي أن يبتدى الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها، ولا يغادر قسماً منها  
:مثال ذلك قول نصيب، يريد أن يأتي بأقسام جواب المجيب عن الاستخبار  
فقال فريقُ القوم: لا، وفريقُهُم: ... نعم، وفريقٌ قال: ويحك ما ندري  
فليس في أقسام الإجابة عن مطلوب، إذا سئل عنه، غير هذه الأقسام، ومثال في ذلك أيضاً قول  
الشماخ يصف صلابة سنابك الحمار، وشدة وهصه الأرض  
متى ما تقعُ أرساغهُ مطمئنةً ... على حجرٍ يرفضُ أو يتدحرجُ  
فليس في أمر اللوطء الشديد إلا أن يوجد الذي يوطأ، رخواً فيرض، أو صلباً فيدفع  
ومثال ذلك أيضاً قول الأسعر بن حمران الجعفي يصف فرساً على هيئته من جميع جهاته

أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ فَكَأَنَّهُ ... بَارِئٌ يَكْفُكُفُ أَنْ يَطِيرَ وَقَدْ رَأَى  
أَمَّا إِذَا اسْتَدْبَرَتْهُ فَتَسْوِقُهُ ... سَاقٌ قَمُوصُ الْوَقْعِ عَارِيَةُ النِّسَاءِ  
أَمَّا إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ مَتَمَطِرًا ... فَتَقُولُ هَذَا مِثْلَ سِرْحَانِ الْغُضَا  
فلم يدع هذا الشاعر قسماً من أقسام النصب التي ترى في الفرس، إذا رئي عليها، إلا أتى به، وقد يجوز  
أن يظن ظان في قولنا: إن هذا الشاعر قد أتى بجميع الأقسام: ليس بحق، إنه إذا كان الفرس أحد  
الأجسام، وكل جسم فله ست جهات، فإذا ذكرت حال أربع منها بقيت جهتان لم تذكر، وحل هذا  
الشاك، إن وقع من أحد، هو أن هذا الشاعر إنما وصف فرساً لا جسماً مطلقاً، وللفرس أحوال يمتنع  
بها من أن ينتصب كل نصبة، ومع ذلك فإن هذا الشاعر إنما وصف الجهات التي يراها الإنسان من  
الفرس إذا كان على بسيط الأرض، وكان الرجل قائماً أو قاعداً، إذ كانت هذه الحال هي التي يرى  
الإنسان عليها الخيل في أكثر الأمر، فأما مثل أن يكون الإنسان في عليه فيرى من الفرس متنه فقط، أو  
أن يكون نائماً فيرى بطنه فقط، فما أبعد ما يقع ذلك، ولم يقصده الشاعر ولا له وجه في أن يقصده،  
إذ كان ليس في ما يعرف ويعهد من النظر إلى الخيل إلا ما ذكره، وهو أن تستقبل أو تستدبر أو  
تستعرض من أحد الجانبين.

ومثال في هذا الباب أيضاً قول أبي زيد الطائي:  
يا أَسَمَ صَبْرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَدَثٍ ... إِنَّ الْحَوَادِثَ مَلَقَى وَمَنْتَظَرُ  
فليس في الحوادث إلا أن تكون قد لقيت، أو ينتظر لقيها. ومن أنواع المعاني وأجناسها أيضاً صحة  
المقابلات.

### صحة المقابلات

وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق،  
وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطاً، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين، فيجب أن  
يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالف بأضداد ذلك، كما قال بعضهم

فَوَاعَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ ... وَفِيٍّ، وَمَطْوِيٍّ عَلَى الْغَلِّ غَادِرُ  
فقد أتى بإزاء كل ما وصفه من نفسه بما يضاده على الحقيقة ممن عاتبه، حيث قال بإزاء ناصح: مطوى  
على الغل وإبزاء وفي: غادر.

ومثل قول الآخر:  
تَقَاصَرْنَ وَاحْلُولِينَ لِي ثُمَّ إِنَّهُ ... أَتَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ طَوَالَ أَمْرٍ  
فقابل القصر والحلاوة: بالطول والمرارة.  
ومثله قول الآخر:

وإذا حديثٌ ساءني لم أكتب ... وإذا حديثٌ سرني لم آشر  
فقد جعل يازاء سرني: ساءني، ويازاء الاكتاب: الأشر، وهذه المعاني في غاية صحة التقابل، ومثل قول  
عقيل بن حجاج:

تستنُّ في حيثُ لمْ تبعُدْ مصعدةً ... ولمْ تصوبْ إلى أدنى مهاويها  
فجعل يازاء قوله: تبعُدْ مصعدةً: أدنى مهاويها، ولو جعل يازاء الإبعاد في الصعود: الهوى، من غير أن  
يقول: أدنى المهاوي لكانت المقابلة ناقصة، لكن لما قال: تبعُدْ قال: أدنى، ولو لم يقل: تبعُدْ لقع منه  
بأن يقول: تهوى فقط، من غير أن يأتي بالدنو

:وللطرماح بن حكيم

أسرناهم وأنعمنا عليهم ... وأستقينا دماءهم التراباً  
فما صبروا لبأسٍ عندَ حربٍ ... ولا أدوا لحسنٍ يدِ ثواباً  
فجعل يازاء أن أسقوا دماءهم التراب وقاتلوهم: أن يصبروا، ويازاء أن أنعموا عليهم: أن يثيبوا، ولا آخر  
جزى الله عنا ذاتَ بعلٍ تصدقتُ ... على عزبٍ حتَّى يكونَ له أهلُ  
فإننا سنجزئها كما فعلتُ بنا ... إذا ما تزوجنا وليسَ لها بعلُ  
فقد أجاد هذا الشاعر، حيث وضع مقابل أن تكون المرأة ذات بعل، وهو لا زوج له: أن يكون ذا زوج  
في وقت عزب المرأة، وقابل حاجته وهو عزب: بحاجتها وهي عزبة، من غير أن يغادر شرطاً، ولا أن  
يزيد شيئاً

.ومن أنواع المعاني صحة التفسير

### صحة التفسير

وهي أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن  
يخالف معنى ما أتى به منها، ولا يزيد أو ينقص، مثل قول الفرزدق  
لقد خنتُ قوماً لو لجأتَ إليهم ... طريدَ دمٍ أو حاملاً ثقلَ مغرم  
فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير، قال  
لألفيتَ فيهم مطعماً ومطاعناً ... وراءك شراً بالوشيح المقوم  
ففسر قوله: حاملاً ثقل مغرم: بأنه يلقي فيهم من يعطيه، وفسر قوله: طريد دم بقوله: إنه يلقي من يطاعن  
دونه ويحميه ومثل قول الحسين بن مطير الأسدي  
فلهُ بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ... ضحكٌ يراوخُ بينهُ وبكاءُ  
ففسر بلا حزن: ببيكاء ولا بمسرة: بضحك، وقال صالح ابن جناح اللخمي  
لئن كنتُ محتاجاً إلى الحلمِ إنني ... إلى الجهلِ في بعض الأحيانِ أحوجُ  
وفسر ذلك بأن قال

ولي فرسٌ للحلم بالحلم ملجمٌ ... ولي فرسٌ للجهل بالجهل مسرجٌ  
فلم يزد المعنى ولا نقص منه، ثم فسر البيت الثاني أيضاً، فقال  
فمن رام تقويمي فإنِّي مقومٌ ... ومن رام تعويجي فإنِّي معوجٌ  
وقال سهل بن هارون  
فواحسرتاً حتَّى متى القلبُ موجعٌ ... بفقدِ حبيبٍ أو تعذرِ إفضالِ  
وفسر ذلك فقال  
فراقٌ خليلٍ مثله يورثُ الأسَى ... وخلَّةٌ حرٌّ لا يقومُ بها مالي

### أنواع نعوت المعاني

ومن أنواع نعوت المعاني التميم

#### التميم

وهو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به.

مثل قول نافع بن خليفة الغنوي

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحقُّ منهم ... ويعطوه عادوا بالسيوفِ القواطعِ  
فإنما تمت جودة المعنى بقوله: ويعطوه، وإلا كان المعنى منقوص الصحة، ومثل قول عمير بن الأيهم  
التغليبي

بها نلنا القرائب من سوانا ... وأحرزنا القرائب أن تنالا  
فالذي أكمل جودة هذا البيت قوله: وأحرزنا القرائب أن تنالا، مع أنهم القرائب من سواهم  
ومثله قول طرفة

فسقى ديارك غيرَ مفسدِها ... صوبُ الربيعِ وديمَةُ تهْمِي  
فقوله: غير مفسدِها، إتمام لجودة ما قاله، لأنه لو لم يقل: غير مفسدِها، لعب، كما عيب ذو الرمة في  
قوله

ألا يا أسلمى يا دارَ مِيٍّ عَلَى البلى ... ولا زالَ منهالاً بجرعائكِ القطرُ  
فإن الذي عابه في هذا القول، إنما هو بأن نسب قوله هذا إلى أن فيه إفساداً للدار التي دعا لها، وهو  
أن تغرق بكثرة المطر

ومثل قول مضر بن ربيعي

والمانعونَ إذا كانتَ ممانعةٌ ... والعائدونَ بحسناهم إذا قدرُوا



:ومثل قول عبيد الراعي

لا خيرَ في طولِ الإقامةِ للفتى ... إلا إذا ما لم يجد متحولاً

:ومثله قول كعب بن سعد الغنوي

حليمٌ إذا ما الحلمُ زينَ أهله ... مع الحلمِ في عينِ العدوِّ مهيبُ

:ومثل قول الأسود بن يعفر

ألا منْ لا مني إلا صديقٌ ... فلاقى صاحباً كأبي زيادٍ

:ومثل قول حسان بن ثابت

لم تفتتها شمسُ النهارِ بشيءٍ ... غيرَ أن الشبابَ ليسَ يدومُ

:ومثل قول أعشى باهلة

لا يصعبُ الأمرُ إلا ريثَ بركبه ... وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاءِ يَأْتَمُرُ

:ومثل قول النمر بن تولب

لقد أصبحَ البيضُ الغواني كأنما ... يربنَ إذا ما كنتَ فيهنَّ أجرباً

وكنْتُ إذا لا قيتهنَّ ببلدةٍ ... يقلنَ على النكراءِ أهلاً ومرحباً

.فقلوه: على النكراء، أتم جودة المعنى، وإلا فلو كانت بينهم معرفة، لم ينكر أن يقلن له أهلاً ومرحباً

:وقول الآخر

وهل علمت بيتنا إلا ولَّه

.شربةً من غيره وأكله

:ومن أنواع نعوت المعاني المبالغة

### المبالغة

وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده،

فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له، وذلك مثل قول عمير

:بن الأيهم التغلبي

ونكرمُ جارناً ما دامَ فينا ... ونتبعهُ الكرامةَ حيثُ مالا

فإكرامهم للجار، ما دام فيهم، من الأخلاق الجميلة الموصوفة، وإتباعهم إياه الكرامة، حيث كان، من

.المبالغة في الجميل

:ومثل ذلك قول الحكم الخضري

وأقبحَ من قردٍ وأبخلَ بالقرى ... من الكلبِ وهو غرثانُ أعجفُ

فقد كان يجرى في الدم أن يكون هذا المهجو أبخل من الكلب، ومن المبالغة في هجائه قوله: وهو

.غرثان أعجف

ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة  
متى ما تدع قومك أدع قومي ... فيأتي من بني جشم فتأم  
فوارس بهمة حشد إذا ما ... بدا حضر الحية والخدائم  
والمبالغة الشدية في هذا الشعر هي في قوله: الحية  
ومنه للحكم الخضري أيضاً  
فكن يا جارهم في خير دار ... فلا ظلم عليك ولا جفاء  
فقوله: فلا ظلم عليك ولا جفاء: تأكيد ومبالغة  
ومنه قول رؤاس بن تميم، أحد الغطاريف الأزدي  
وانا لنعطي النصف منا وإننا ... لناخذ من كل أبلخ ظالم  
فالتوكيد في قوله: وإننا لناخذ من كل أبلخ ظالم، فهذه مبالغة مضاعفة مكررة  
ومنه قول مضرس  
بهم تمتري الحرب العوان وفيهم ... تؤذي القروض حلوها ومريها  
فقوله: ومريها: مبالغة  
وكذلك قوله أوس بن غلفاء الهجيمي  
وهم تركوك أسلح من حبارى ... رأيت صقراً، وأشرد من نعام  
ففي قوله: رأيت صقراً: مبالغة  
ومن نعوت المعاني التكافؤ

## التكافؤ

وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه، أو يتكلم فيه بمعنى ما، أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين،  
والذي أريد بقولي: متكافئين، في هذا الموضع: متقاربان، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب  
أو غيرها من أقسام التقابل، مثل قول أبي الشغب العبسي  
حللوا الشمائل، وهو مرّ باسل ... يحمي الدمار صبيحة الإرهاق  
فقوله: حللوا ومر: تكافؤ  
ومثل قول أم الضحاك المحاربة  
كيف يسامي خالداً أو يناله ... خميص من التقوى بطين من الخمر  
فقولها: خميص وبتين: تكافؤ، ومثل قول طرفة  
بطيء عن الجلى سريع إلى الخنا ... ذليل بأجماع الرجال ملهد  
فقوله: سريع وبتيء: تكافؤ، ومثل قول زهير  
حلماء في النادي إذا ما جئتهم ... جهلاء يوم عجاجة ولقاء

فقوله: حلماء وجهلاء: تكافؤ، ومثل قول حميد بن ثور الهلالي  
فلَمْ أَرْ محزوناً له مثلُ صوتِهَا ... ولا عريباً شاقه صوتُ أعجمَا  
فقوله: عربي وأعجم: تكافؤ، ومثل قول الآخر  
بطاءً عن الفحشاء لا يحضرونَهَا ... سراعٌ إلى داعي الصباح المثوبِ  
ومثل قول العباس بن مرداس  
مطهماً خلقه شتاً سنا بكه ... صغلاً على أن في الجنين إجماراً  
فجعل: صغلاً مكافئاً لمجفر، ومثل قول الفرزدق  
فتى السنّ كهلُ الحلم قد عرفتْ له ... قبائلُ ما بينَ الدنا وإيادِ  
فقوله: فتى: مكافأة لقوله: كهل، وقال الفرزدق أيضاً  
لعمرى لئن قلّ الحصى في رجالكم ... بني نهشلٍ ما لؤمكم بقليلِ  
فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب، ومنه قول خولة بنت عيينة بن مرداس، هو ابن فسوة  
الشاعر:

يحكُّ بحامي أيره باردَ استهّا ... كما استولجتْ ظمياءُ أيرِ ابنِ غالبِ  
فكافأت بقولها حامي كذا وبارد كذا

ومن هذه الجهة استجاد الناس قول دعلج، حين روي عنه أنه قال: أن ابن قولي  
لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ... ضحك المشيبُ برأسه فبكى  
لأن ضحك وبكى: مكافأة

وقد أتى المحدثون من التكافؤ بأشياء كثيرة، وذلك أنه بطباع أهل التحصيل والروية في الشعر، والتطلب  
لتجنيسه، أولى منه بطباع القائلين على الهاجس بحسب ما يسنح من الخاطر، مثل الأعراب ومن جرى  
مجراهم، على أن أولئك بطباعهم قد أتوا بكثير منه، وقد قدمنا بعضه  
ومما للمحدثين في ذلك، قول بشار

إذا أيقظتك حروبُ العدى ... فنبه لها عمراً ثم نَمَ  
فنبه ونم: تكافؤ، وله أثر في تجويد الشعر قوي، فإنه لو قال مثلاً: فجرد لها عمراً، لم يكن لهذه اللفظة  
من الموقع مع من ما لنبه  
الالتفاف:

ومن نعوت المعاني الالتفاف - وبعض الناس يسميه الاستدراك - وهو، يكون الشاعر آخذاً في معنى،  
فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيعود راجعاً على  
ما قدمه، فإما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يحل الشك فيه، مثال ذلك قول المعطل، أحد بني رهم من  
هذيل:

تبينُ صلاةُ الحرب منا ومنهم ... إذا ما لتقينا والمسالمُ بادنُ

فقلوه: والمسالم بادن: رجوع على المعنى الذي قدمه حين بين ان علامة صلاة الحرب من غيرهم أن المسالم يكون بادنًا والمحارب ضامراً، وقول الرماح بن ميادة فلا صرمة يبذو، وفي اليأس راحة ... ولا وصله يصفو لنا فنكارمه فكأنه بقوله: وفي اليأس راحة: التفت إلى المعنى، لتقديره أن معارضاً يقول له: وما تصنع بصرمه؟ فقال: لأن في اليأس راحة.

ومن هذا الجنس قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وأجمل إذا ما كنت لا بُدَّ مانعاً ... وقد يَمْنَعُ الشيء الفتى وهو مجمل ومنه قول امرئ القيس

يا هَلْ أَتَاكَ وقد يُحَدِّثُ ذُو ... الودِّ القديم مسممة الدَّخْل  
فكأنه لما قال: أتاك، وكان المعنى مسراً غير مظهر، توهم أن المخاطب يقول له: كيف يبلغني؟ فقال: وقد يحدث ذو الود القديم مسممة الدخل، وقول طرفة

وتصدُّ عنك مخيلة الرجل ال ... مشنوف موضحة عن العظم بحسام سيفك أو لسانك، وال ... كلم الأصيل كأرغب الكلم فكأنه لما بلغ بعد حسامك إلى لسانك قدر أن معترضاً يعترضه، فيقول: كيف يكون مجرى السيف واللسان واحداً؟ فقال: والكلم الأصيل كأشد الجراح وأكثرها اتساعاً ومنه قول جدير بن ريعان

معازيل في الهيجاء ليسوا بذادة ... مجازيع عند اليأس، والحر يصير  
ففي قوله: والحر يصير: التفت إلى أول كلامه

:الاستغراب والطرفة

وقد يضع الناس في باب أوصاف المعاني: الاستغراب والطرفة. وهو أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه على جهة الاستحسان

وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف، لأن المعنى المستجاد إنما يكون مستجاداً إذا كان في ذاته جيداً، فإما أن يقال له: جيد، إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدمه من قال مثله، فهذا غير مستقيم، بل يقال لما جرى هذا المجرى: طريف وغريب، إذا كان فرداً قليلاً، فإذا كثر لم يسم بذلك وغريب وطريف، هما شيء آخر غير حسن أو جيد، لأنه قد يجوز أن يكون حسن جيد: غير طريف ولا غريب، وطريف غريب: غير حسن ولا جيد، فأما حسن جيد غير غريب ولا طريف، فمثل تشبيههم الدروع بحباب الماء الذي تسوقه الرياح، فإنه ليس يزيل جودة هذا التشبيه تعاور الشعراء إياه قديماً أو حديثاً، وأما غريب وطريف لم يسبق إليه، وهو قبيح بارد، فملء الدنيا، مثل أشعار قوم من المحدثين سبقوا إلى البرد فيها.

والذي عندي في هذا الباب أن الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدئ بالمعنى الذي لم يسبق إليه لا إلى الشعر، غد كانت المعاني مما لا يجعل القبيح منها حسناً سبق السابق إلى استخراجها، كما لا يجعل الحسن قبيحاً الغفلة عن الابتداء بها، وأحسب أنه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر، فلم يكادوا يفرقون بينهما، وإذا تأملوا هذا الأمر نعماً، علموا أن الشاعر موصوف بالسبق إلى المعاني واستخراج ما لم يتقدمه أحد إلى استخراجها، لا الشعر.

### نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى

ولنتبع ذكر المعاني، وهو القسم الرابع من أقسام الشعر المفردات: ذكر الأربعة المركبات، التي قدمنا القول فيها في أول الكتاب، ولنبدأ بأولها وهو: نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى. ومن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى المساواة

المساواة:

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتاب رجلاً فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر، وذلك مثل قول امرئ القيس

فإن تكتنموا الداءَ لا نخفه ... وإن تبعثوا الحربَ لا نقعدِ

وإن تقتلوننا تقتلكم ... وإن تقصدوا لدمٍ نقصدِ

وأعددتُ للحربَ وثابةً ... جوادَ المحنةِ والمردودِ

ومثل قول زهير

ومهما تكنَ عند امرئٍ من خليقةٍ ... وإن خالها تخفى على الناسِ تعلمِ

ومثل قوله

إذا أنتَ لم تقصرَ عن الجهلِ والخنأ ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلٌ

ومثل قوله

سعى بعدهم قومٌ لكي يدركوهم ... فلم يدركوا ولم يليموا ولم يألوا

ومثل قول طرفة

لعمركَ إن الموتَ ما أخطأ الفتى ... لكالطولِ المرخى وثنياءُ باليدِ

ستبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك بالأخبارِ منْ لم تزودِ

ومثله قول خالد بن زهير ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي

فلا تجزعنْ من سِنَّةٍ أنتَ سرتَها ... فأولُ راضٍ سنة من يسيرُها

ومثل قول ليلى الأخيلية

فلا يبعدنكَ الله يا توبَ إنّما ... لقاءُ المنايا دارعاً مثل حاسرٍ

:ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى الإشارة

:الإشارة

وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها، كما قال بعضهم،

:وقد وصف البلاغة، فقال: هي لمحة دالة، وذلك مثل امرئ القيس

فإن تهلك شنوءة أو تبدل ... فسييري إن في غسان خالا

بعزمهم عززت وإن يذلوا ... فذلهم أنالك ما أنا لا

فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه، مع قصرها، قد أشير بها إلى معان طوال، فمن ذلك قوله: تهلك أو

تبدل، ومنه قوله: إن في غسان خالا، ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح طويل، وهو قوله: أنالك ما أنا لا.

:ومثل قول طرفة

موضوعها زول ومرفوعها ... كمر غيث لجب وسط ربح

فقوله زول: مشار به إلى معان كثيرة، وهو شبيه بما يقول الناس في إجمال نعت الشيء واختصاره:

:عجب، ومثل قول إسماعيل ابن يسار النساء

هاج ذا القلب من تذكر جمل ... ما يهيج المقيم المحزونا

:فقد أشار هذا الشاعر بوله: ما يهيج المقيم المحزونا، إلى معان كثيرة. ومثل قول امرئ القيس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله ... أفانين جري غير كز ولا وان

فقد جمع بقوله: أفانين جري، على ما لو عد لكان كثيراً، وضم إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة

في هذا الفرس، وهو قوله: قبل سؤاله، أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً ن غير حث، وفي قوله: قوله:

غير كز ولا وان، ينفي عنه أن يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة، والونى من قبل الاسترخاء

:والفترة.

:ومثل قولاً امرئ القيس أيضاً يصف ذنباً

فظل كمثل الخشف يرفع رأسه ... وسائره مثل التراب المدفق

وجاء خفياً يسفن الأرض بطنه ... ترى الترب منه لازقاً كل ملزق

:ففي هذا الشعر إجمال للمعاني كثير، وأكد ما فيه من ذلك قوله: لازقاً كل ملزق. ومثل قول زهير

فإني لو لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفاء

:ومثل قول أوس بن حجر

فإن يهو أقوام ردائي فإني ... يقيني الإله ما وقى وأصادف

:ومثل قول قتادة بن طارق المازني من الأزد

أهاجك ربع قد تحمل حاضره وأوحش بعد الحي منه مناظره يقول: ما تنظر إلى موضع منه إلا ذكرت فيه

:من الأنس بمن كان يحله منا قد أوحش في هذا الوقت بخلوه منه، وللعامرية

كيف الفخار وقد كانوا لنسوتكم ... يوم النصار، بنو ذبيان، أربابا  
إذ جز ناصيتي حصن وأعتقني ... وذاك شيب مني اليوم ما شابا  
:ولامرئ القيس

فظل لنا يوم لذيذ بنعمة ... فقل في مقيل تحسه متغيب  
:ولامرأة من عكل

يا ابن الدعي إنها عكل فقف  
لتعلمن اليوم إن لم تنصرف  
أن الكريم واللئيم مختلف

:ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى الإرداف  
:الإرداف

وهو أن يريد الشعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل  
:على معنى هو ردفه وتابع به، فإذا دل على التابع أبان عن المنبوع، بمنزلة قول ابن أبي ربيعة  
بعية مهوى القرط إما لنوفل ... أبوها وإما عبد شمس وهاشم  
وإنما أراد هذا الشاعر أ، يصف طول الجيد، فلم يذكره بلفظه الخاص به، بل أتى بمعنى تابع لطول  
الجيد، وهو بعد مهوى القرط.

:ومثل قول امرئ القيس

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها ... تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل  
وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترفه هذه المرأة وأن لها من يكفيها، فقال: تؤوم الضحى، وإن فتيت  
المسك يبقى إلى الضحى فوق فراشها، وكذلك سائر البيت، أي هي لا تنتطق لتخدم، ولكنها في بيتها  
:متفضلة، ومعنى عن في هذا البيت معنى: من بعد. وكذلك قوله  
وقد أغتدي والطير في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد، فلم يتكلم باللفظ بعينه، ولكن بأردافه ولواحقه  
التابعة له، وذلك أن سرعة إحضار الفرس يبعها أن تكون الأوابد، وهي الوحوش، كالمقيدة له إذا نحا في  
طلبها.

والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة، فيقولون: هو أول من قيد الأوابد، وإنما غزا بها الدلالة  
على جودة الفرس وسرعة حضره، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن الناس من الاستجادة لقوله مثلهم عند  
إتيانه بالردف له.

:وفي هذا برهان على أن وضعنا الإرداف من أوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب  
:ومنه قول ليلى الأخيلية

ومحرق عنه القميص تخاله ... بين البيوت من الحياء سقيما

فإنما أرادت وصفه بالجلود والكرم، فجاءت بالأرداف والتوايع لهما، أما ما يتبع الجود، فإن تخرق قميص هذا المنعوت فسر أن العفاة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم إياه، وأما ما يتبع الكرم فالحياء الشديد الذي كأنه من إماتته نفس هذا الموصوف وإزالته عنه الأشر يخال سقيما ومنه أيضاً قول الحكم الخصري

قد كان يعجب بعضهم براعتي ... حتى سمعن تنحنحي وسعالي فأراد وصف الكبر والسن، فلم يأت باللفظ بعينه، ولكنه أتى بتوايعه وهي السعال والتحنح أبيات المعاني: ومن هذا النوع ما يدخل في الأبيات التي يسمونها أبيات معان. وذلك إذا ذكر الردف وحده، وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر، أو كانت بينه وبينه أرداف آخر، كأنها وسائط، وكثرت حتى لا يظهر الشيء المطلوب بسرعة، وهذا الباب إذا غمض، لم يكن داخلاً في جملة ما ينسب إلى جيد الشعر، إذ كان من عيوب الشعر الانغلاق في اللفظ وتعذر العلم بمعناه.

التمثيل

وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه

مثال ذلك قول الرماح بن ميادة

ألم تك في يمني يديك جعلتني ... فلا تجعلني بعدها في شمالكا ولو أنني أذنبت ما كنت هالكا ... على خصلة من صالحات خصالكا فعدل عن أن يقول في البيت الأول: إنه كان عنده مقدماً، فلا يؤخره، أو مقرباً، فلا يبعده، أو مجتبى، فلا يجتنبه، إلى أن قال: إنه كان في يمني يديه، فلا يجعله في اليسرى، ذهاباً نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له، وقصد الإغراب في الدلالة والابداع في المقالة، وكذلك قول عمير بن الأيهم

راح القطين من الثغراء أو بكروا ... وصدقوا من نهار الأمس ما ذكروا قالوا لنا وعرفنا بعض بينهم ... قولاً فما وردوا عنه وما صدروا فقد كان يستغنى عن قوله: فما وردوا عنه ولا صدروا، بأن يقول: فما تعدوه، أو فما تجاوزوه، ولكن لم يكن له من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله: فما وردوا عنه ولا صدروا ومن هذا قول بعض بني كلاب

دع الشر واحلل بالنحاة تعزلاً ... إذا هو لم يصيغك في الشر صايغ ولكن إذا ما الشر ثار دفينه ... عليك فأنضج دبغ ما أنت دابغ فأكثر اللفظ والمعنى في هذين البيتين جار على سبيل التمثيل، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه: دع الشر ما لم تنشب فيه، فإذا نشبت فيه فبالغ، ولكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام



الشعري والتمثيل الظريف ما لقول الكلابي، ومن هذا قول الآخر

تركت الركاب لأربابها ... وأكرهت نفسي على ابن الصعق

جعلت يدي وشاحاً له ... وبعض الفوارس لا يعتق

.وفي قوله: جعلت يدي وشاحاً له، إشارة بعيدة لغير لفظ الاعتناق وهي دالة عليه

:ومنه قول يزيد بن مالك الغامدي

فإن ضجوا منا زأرنا فلم يكن ... شبيهاً بزأر الأسد ضبح الثعالب

فقد أشار إلى قوتهم وضعف أعدائهم إشارة مستغربة، لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشيء

:المشار إليه بلفظه، ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة

أوردتهم وصدور العيس مسنفة ... والصبح بالكوكب الدرّي منحور

.فقد أشار إلى الفجر إشارة بعيدة ظريفة بغير لفظه

:وكذلك قول اللعين المنقري، يصف ناره

رأى أم نيران عواناً تكفها ... بأعرافها هوج الرياح الطراند

فقد أوماً بقوله: أم نيران: إلى قدمها، وبعوان: إلى كثرة عاداته لإيقادها، إيماء غريباً ظريفاً، وإن كانت

.العرب تقول ذلك في النار كثيراً

:وقال بعض العرب

فتى صدمته الكأس حتى كأنما ... به فالج من دائها فهو يعرش

.والكأس لا تصدم، ولكنه أشار بهذا التمثيل إشارة حسنة إلى سكره

:وقال العباس بن مرداس

كانوا أمام المؤمنين دريئة ... والبيض يومئذ عليهم أشمس

.يريد أن البيض عليهم قد صارت شمساً

:المطابق والمجانس

وقد يضع الناس من صفات الشعر: المطابق والمجانس، وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى،

.ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة

:المطابق

:فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها، مثل قول زياد الأعجم

ونبتهم يستنصرون بكاهل ... وللؤم فيهم كاهل وسنام

:وقال الأفوه الأودي

وأقطع الهوجل مستأنساً ... بهوجل عيرانة عتريس

فالظفة: الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين، لأن الأولى يراد بها الأرض، والثانية

:الناقة، وكذلك قول أبي دؤاد الإيادي

عهدت لها منزلاً دائراً ... وآلا على الماء يحملن آلا  
فالآل الأول في المعنى غير الثاني، لأن الأول أعمدة الخيام، والثاني من السراب

:المجانس

وأما المجانس؛ فإن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق، مثل قول أوس بن

:حجر

لكن بفرتاج فالخلصاء أنت بها ... فحنبل فعلى سراء مسرور

:ومثل قول زهير

كأن عيني وقد سال السليل بهم ... وجيرة ما هم لو أنهم أمم

:ومثل قول العوام في يوم العظالي

وفاض أسيراً هانئ وكأنما ... مفارق مفروق تغشين عندما

:ومثل قول حيان بن ربيعة الطائي

لقد علم القبائل أن قومي ... لهم حد إذا لبس الحديد

:ومثل قول الفرزدق

خفاف أخف الله منه سحابه ... وأوسع من كل ساف وحاصب

:ومثل قول الكميت

فقل لجذام قد جذتم وسيلة ... إلينا كمختار الرداف على الرحل

:ومثل قول مسكين الدارمي

وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية ... إذا الكواكب كانت في الدجى سرجا

:وكما قال النعمان بن بشير لمعاوية بن أبي سفيان

ألم تتدركم يوم بدر سيوفنا ... وليلك عما ناب قومك نائم

:وقال ذو الرمة

كأن البرى والعاج عيجت متونه ... على عشر نهى به السيل أبطح

:وقال رجل من بني عبس

وذاكم أن ذل الجار حالكم ... وأن أنفكم لا يعرف الأنفا

:وقال الممرار

وأعظمني أن أرى زائراً ... وأختلف الحي يوماً خلوفاً

:نعت ائتلاف اللفظ والوزن

وهو ان تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت، لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها، وهي الأقوال، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها، ولا اضطر أيضاً إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها، بل يكون الموصوف مقدماً والصفة مقولة عليها، وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى شرحه لاحتجنا إلى إثبات كثير من صناعاتي المنطق والنحو في هذا الكتاب، فكان يصعب النظر فيه على أكثر الناس، ولكن في ما أجملته في هذا القول، وأشارت إليه من التنبيه على الطريق التي يعرف بها جودة هذا الباب ما كفى وأغنى عند ذوي القرائح السليمة، ومن قد تعلق ببعض الآداب السهلة.

ومن هذا الباب أيضاً ألا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجاً إليه، حتى أنه إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه، أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلا به، حتى أن فقدته قد آثر في الشعر تأثيراً بان موقعه.

ولمآت في هذا الباب بأمثلة، لأن كل شعر سليم مما ذكرت فهو مثال لذلك، فأما الأشعار التي لم تسلم منه، فأنا أذكرها في باب عيوب الشعر إن شاء الله تعالى.

### نعت ائتلاف المعنى والوزن:

أن تكون المعاني تامة مستوفاة، لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب، ولا إلى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضاً مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته، والسبب في تركنا أن نأتي لهذا الجنس بأمثلة من الشعر هو السبب في تركنا ذلك في باب ائتلاف اللفظ مع الوزن، ونحن نذكر ما يجب ذكره من أمثلة عيوب هذا الباب في جملة ما سنذكره من عيوب الشعر.

### نعت ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت

أن تكون القافية معلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مر فيه. فمن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت: التوشيح

### التوشيح

وهو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته، ومعناها متعلقاً به، حتى أن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها، إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته، مثال ذلك قول الراعي وإن وزن الحصى فوزنت قومي ... وجدت حصى ضربيتهم رزينا

فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت، وقد تقدمت عنده قافية القصيدة، استخرج لفظة قافيته، لأنه يعلم أن قوله: وزن الحصى، سيأتي بعده: رزين، لعلتين: إحداهما أن قافية القصيدة توجيه، والأخرى أن نظام المعنى يقتضيه، لأن الذي يفاخر برجاجة الحصى يلزمه أني قول في حصاه إنه رزين

:وقول العباس بن مرداس

هم سودوا هجناً وكل قبيلة ... يبين عن أحسابها من يسودها

:فمن تأمل هذا البيت، وجد أوله يشهد بقافيته، وقول نصيب

وقد أيقنت أن ستين ليلي ... وتحجب عنك إن نفع اليقين

:وقول مضر بن ربيعي

تمنيت أن ألقى سليماً ومالكاً ... على ساعة تنسى الحليم الأمانيا

.ومن أنواع ائتلاف القافية مع سائر البيت: الإيغال

:الإيغال

وهو ١، يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع، ثم يأتي بها لحاجة

:الشعر، في أن يكون شعراً، عليها، فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت، كما قال امرؤ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرجلنا الجزع الذي لم يثقب

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية، وذلك أن عيون الوحش شبيهة بالجزع، ثم لما جاء

بالقافية أوغل بها في وصف ووكده، وهو قوله: الذي لم يثقب، فإن عيون الوحش غير مثقبة، وهي

:بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه، وقال زهير

كأن فئات العهن في كل منزل ... نزلن به حب الفنا لم يحطم

فالعهن: هو الصوف الأحمر، والفنا: حب تنبته الأرض أحمر، فقد أتى على الوصف قبل القافية، لكن

حب الفنا إذا كسر كان مكسره غير أحمر، فاستظهر في القافية لما أن جاء بها، بأن قال: لم يحطم،

:فكانه وكد التشبيه بإيغاله في المعنى، قال امرؤ القيس

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه ... تقول هزير الريح مرت بأثاب

فقد تم أوصاف والتشبيه قبل القافية، لأنه يكفي أن يشبه حفيف جري الفرس بالريح، فلما أتى بالقافية،

.أوغل إيغالاً زاد به في المعنى، وذلك أن الأثاب شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف شديد

حدثني التوزي قال: قلت للأصمعي: من أشعر الناس؟ فقال: من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله

بلفظه كبيراً، أو إلى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً، أو ينقضي كلامه قبل القافية، فإذا احتاج إليها أفاد

.بها معنى

.قال: قلت: نحو من

:قال: نحو ذي الرمة، حيث يقول

قف العيس في أطلال مية فاسأل ... رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل  
فتم كلامه قبل المسلسل، ثم قال: المسلسل، فزاد شيئاً. ثم قال  
أظن الذي يجدي عليك سؤالها ... دموغاً كتبديد الجمان المفصل  
فتم كلامه، ثم احتاج إلى القافية، فقال: المفصل، فزاد شيئاً  
قال: قلت: ونحو من؟ قال: الأعشى، حيث قال  
كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل  
فتم مثله إلى قوله: قرنه، فلما احتاج إلى القافية، قال الوعل، فراد معنى  
قلت: فكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح؟ قال: لأنه ينحط من قلة الجبل على قرنيه فلا  
يضره.

## الفصل الثالث

### عيوب الشعر

.وإذ قد أتيت على ما قدرت أنه نعت للشعر، وعددت أجناس ذلك، وفصلت أنواعه  
فالآن أحب أن أبتدئ بذكر عيوب الشعر، وأذكر أجناس ذلك على الترتيب الذي رتبته النعوت عليه،  
وبحسب تلك السياقة

### عيوب اللفظ

أن يكون ملحوناً وجارياً على غير سبيل الإعراب واللغة، وقد تقدم من استقصى هذا الفن، وهم واضعو  
صناعة النحو، وأن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذاً، وذلك هو  
الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له وتنكبه إياه، فقال: كان لا يتبع حوشي الكلام  
وهذا الباب مجوز للقدماء، ليس من أجل أنه حسن، لكن لأن شعرائهم من كان أعرابياً قد غلبت عليه  
العجرفية، وللحاجة أيضاً إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب، ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي لم  
يكن يأتي به على جهة التطلب له، والتكلف لما يستعمله منه، لكن لعادته وعلى سجية لفظه  
فأما أصحاب التكلف لذلك، فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع، مثل شعر أبي حزام غالب  
:بن الحارث العكلي وكان في زمن المهدي، وله في أبي عبيد الله كاتب المهدي قصيدة أولها  
تذكرت سلمى وإهلاسهـا ... فلم أنس والشوق ذو مطروهـه  
وفيها يقول

لأوحى وزير إمام الهدى ... لنا وهو بالإرب ذو محجوه  
يسوس الأمور فتأتي له ... وما في عزيمته منهوه

وفي بالأمانة صفو التقى ... وما الصفو بالرنق المحموه  
وعند معاوية المصطفى ... جباً غير مأج ولا مطرؤه  
فقال الوزير الأمين: انظموا ... قريضاً عوبصاً على لؤلؤه  
فعبرت مرتفقاً وحيه ... بغير انصيار إلى المتكؤه  
سيدني من الحق ذو فطنة ... معي في العواقب والمبدؤه

بيوتاً علي لها وجهة ... بغير السناد ولا المكفؤه  
ومثل شعر أحمد بن جحدر الخراساني في مالك بن طوق؛ ويقال: إنها لمحمد بن عبد الرحمن الغريبي  
:الكوفي، في عيسى الأشعري  
هيا منزل الحي جنب الغضا ... سلامك عن النوى تصرم  
ويا طلالاً آية ما ارتمت ... بليلاك غربتها المرجم  
حلفت بما أرقلت نحوه ... همرجلة خلقها شيطم  
وما شبرقت من تنوفية ... بها من وحي الجن زبريزم  
فبلغني أنه أنشد هذه القصيدة ابن الأعرابي، فلما بلغ إلى ههنا، قال له ابن الأعرابي: عن كنت جاداً  
.فحسيبك الله

:ومنها  
لأم لكم نجلت مالكا ... من الشمس لو نجلت أكرم  
ومن أين مثلك؟ لا أين هو ... إذا الريق أقفر منه الفم  
ومن الأعراب أيضاً من شعره فطيع التوحش، مثل ما أنشدناه أحمد ابن يحيى عن ابن الأعرابي لمحمد  
:بن علقمة التيمي، يقولها لرجل من كلب يقال له ابن الفنخش، ورد عليه فلم يسقه  
أفرخ أخوا كلب وأفرخ أفرخ  
أخطأت وجه الحق في التطخطخ  
أما ورب الراقصات الزمخ  
يخرجن من بين الجبال الشمخ  
يزرن بيت الله عند المصرخ  
لتمطخن برشاء ممطخ  
ماء سوى مائي يا ابن الفنخش  
أو لتجيئن بوشي بخ بخ  
من كيس ذي كيس مئن منفخ  
قد ضمه حولين لم يسنخ

ضم الصماليخ صماخ الأصلح

.ومن عيوب اللفظ: المعازلة

:المعازلة

.وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبتها لها أيضاً، فقال: وكان لا يعاقل بين الكلام

وسألت أحمد بن يحيى عن المعازلة، فقال: مداخلة الشيء في الشيء، يقال: تعاقل الجرادتان،

.وعاقل الرجل المرأة: إذا ركب أحدهما الآخر

وإذا كان الأمر كذلك، فمحال أن ينكر مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه من بعض، أو في ما كان من

جنسه، وبقي النكير إنما هو في أن يدخل بعضه في ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به، وما أعرف

:ذلك إلا فاحش الاستعارة، مثل قول أوس بن حجر

وذات هدم عار نواشرها ... تصمت بالماء تولباً جدعاً

.فسمى الصبي: تولباً، وهو ولد الحمار

:ومثل قول الآخر

وما رقد الولدان حتى رأيتهم ... على البكر يمر به بساق وحافر

.فسمى رجل الإنسان: حافراً

.فإن ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه

وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين أشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه، وفيها لهم

:معاذير، إذ كان مخرجها مخرج التشبيه، فمن ذلك قول امرئ القيس يصف الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فكأنه أراد: أن هذا الليل في تطاوله كالذي يتمطى بصلبه، لا أن له صلباً، وهذا مخرج لفظه إذا تؤمل،

:ومنه قول زهير

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى أفراس الصبا ورواحله

فكأن مخرج كلام زهير إنما هو مخرج كلام من أراد: أنه لما كانت الأفراس للحرب، وإنما تعرى عند

تركها ووضعها، فكذلك تعرى أفراس الصبا، إن كانت له أفراس، عند تركه والعزوف عنه. وكذلك قول

:أوس بن حجر

وإني امرؤ أعددت للحرب بعدما ... رأيت لها ناباً من الشر أعصلا

فإنه إنما أراد: أن هذه الحرب قديمة قد اشتد أمرها، كما يكون ناب البعير أعصل، إذا طال عمره

.واشتد

:وكذلك قول عنتره العبسي

جادت عليه كل بكر حرة ... فتركن كل قرارة كالدروهم

:وقل طفيل الغنوي

وحملت كورى فوق ناجية ... يقات شحم سنامها الرحل

:وقول عمر بن كلثوم

ألا ابلي النعمان عني رسالة ... فمجدك حولي ولؤمك قارح

:وقول أبي ذؤيب الهذلي

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفت كل تميم لا تنفع

:وقول أوس بن مغراء يهجو بني عامر

يشيب على لوم الفعال كبيرها ... ويغذي بثدي اللؤم منها وليدها

:وقال المخبل

يعالج عزاً قد عسا عظم رأسه ... قراسية كالفحل يصرف يازله

فما جرى هذا المجرى مما له مجاز، كان أخف وأسهل مما فحش ولم يعرف له مجاز، وكان منافراً

للعادة، بعيداً عما يستعمل الناس مثله

:الكلام في عيوب الوزن

:ولتبع الكلام في عيوب اللفظ بالكلام في عيوب الوزن، فنقول

:الخروج عن العروض

.من عيوبه: لخروج عن العروض، وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة. إلا أن من عيوبه التخليع

:التخليع

وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط قائله في تزييفه، وجعل ذلك بنية للشعر كله، حتى ميله إلى

الانكسار، وأخرجه عن باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة، إلى ما ينكره حتى

ينعم ذوقه، أو يعرضه على العروض فيصح فيه، فإن ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة،

:قليل الحلاوة، ذلك مثل قول الأسود بن يعفر

إنا ذممنا على ما خيلت ... سعد بن زيد وعمرأ من تميم

وضبة المشتري العار بنا ... وذاك عم بنا غير رحيم

لا ينتهون الدهر عن مولى لنا ... قورك بالسهم حافات الأديم

ونحن قوم لنا رماح ... وثروة من موال وصميم

لا نشتكى الوصم في الحرب ولا ... نئن منها كتأنان السليم

:ومثل قول عروة بن الورد

يا هند بنت أبي ذراع ... أخلفتني ظني ووترتني عشقي

ونكحت راعي ثلة يثمرها ... والدهر فائته بما يبقى

ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص، وفيها أبيات قد خرجت عن العروض البتة، وقبح ذلك جودة الشعر،



:حتى أصاره إلى حد الردئ منه، فمن ذلك قوله

والمرء ما عاش في تكذيب ... طول الحياة له تعذيب

.فهذا معنى جيد ولفظ حسن، إلا أن وزنه قد شانه وقبح حسنه، وأفسد جيده

فما جرى من التزحيف هذا المجرى في القصيدة، أو الأبيات كلها أو أكثرها، كان قبيحاً من أجل إفراطه في التخليع واحدة، ثم من أجل دوامه وكثرته ثانية، وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط، أو كان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير توال ولا اتساق، ولا إفراط يخرج عن الوزن، مثل ما قال متمم بن نويرة

وفقد بني أم تداعوا فلم أكن ... خلافهم لأستكين وأضرعا

.فأما الإفراط والدوام فقيح

:الزحاف

وقال إسحاق يحكي عن يونس أنه قال: أهون عيوب الشعر: الزحاف، وهو، ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فمنه ما نقصانه أخفى، ومنه ما هو أشنع، وهو في ذلك جائز في العروض، قال خالد ابن أخي أبي ذؤيب الهذلي

لعلك إما أم عمرو تبدلت ... سواك خليلاً شاتمي تستخيرها

.وهذا مزاحف في كاف سواك ومن أنشده خليلاً سواك كان أشنع

قال: وكان الخليل بن أحمد رحمه الله يستحسنه في الشعر، إذا قل البيت أو البيتان، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمح

قال إسحاق: فإن قيل: كيف يستحسن منه شيئاً وقد قيل هو عيب؟ قيل: هذا مثل الحول والقبل واللثغ في الجارية، قد يشتهي القليل نمه الخفيف، وهو إن كثر هجن وسمح، والوضح في الخيل يشتهي ويستظرف خفيفه، مثل الغرة والتحجيل، فإذا فشا وكثر، كان هجنة ووهناً .قال: وخفيف البلق يحتمل في الخيل، ولم أر أبلق قط، ولم أسمع به سابقاً .ولنبع الكلام في عيوب الوزن بالكلام في عيوب القوافي

:عيوب القوافي

ولنتعد ما قد أتى به من استقصى ذلك فيما وضعه من الكتب، إذ كان لا ارب في إعادته، ولكننا نتكلم في ذلك بظاهر ما يعرفه جمهور الناس من المعاييب التي ليست من جنس ما وضعت فيه الكتب .ولنذكر مما وضع فيها ما كانت القدماء تعيب به دون غيره، فن ذلك التجميع

:التجميع

وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روى متهيئ لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه، فتأتي بخلافه، مثل ما قال عمرو بن شأس

تذكرت ليلي، لات حين اديكارها ... وقد حني الأصلاب، ضلاً بتضلال

:ومثل قول الشماخ

لمن منزل عاف ورسم منازل ... عفت بعد عهد العاهدين رياضها  
ومن عيوبها الإقواء

:الإقواء

وهو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة مثلاً، وأخرى مخفوضة أو منصوبة، وهذا في شعر  
الأعراب كثير جداً، وفي من دون الفحول من الشعراء أكثر، ولا يجوز لمولد، لأنهم قد عرفوا عيبه،  
والبدوي لا يأبه له فهو أعذر

قال إسحاق: قلت ليونس: أكان عبيد الله بن الحر يقوى، فقال: الإقواء خير منه. يعني من فوقه من  
الشعراء يقوى

:وقد ركب بعض فحول الشعراء الإقواء في مواضع، مثل ما قال سحيم بن وثيل الرياحي

عذرت البزل إن هي خاطرتني ... فما بالي وبال ابني لبون  
وماذا يدري الشعراء مني ... وقد جاوزت حد الأربعين

:فنون الأربعين مفتوحة، ونون اللبون مكسورة، ولكنه كأنه وقف القوافي فلم يحركها، وقال جرير

عرين من عرينة ليس منا ... برئت إلى عرينة من عرين  
عرفنا جعفرأ وبني عبيد ... وأنكرنا زعانف آخرينا

:الإيطاء

ومنه: الإيطاء، وهو ان يتفق القافيتان في قصيدة واحدة، فإن زادت على اثنتين فهو أسمع، فإن اتفق  
اللفظ واختلف المعنى كان جائزاً، كقولك: أريد خياراً، وأوثر خياراً أي تريد خياراً من الله لك في كذا  
وخيار الشيء: أجوده، والإيطاء من المواطأة، أي الموافقة، قال الله تبارك وتعالى: ليواطئوا عدة ما حرم  
الله أي ليوافقوا. ومنه السناد

:السناد

:وهو أن يختلف تصريف القافية، كما قال عدي ابن زيد

ففاجأها وقد جمعت جموعاً ... على أبواب حصن مصلتنا  
فقدمت الأديم لراشهيه ... وألفى قولها كذباً ومينا

:وكقول الفضل بن العباس اللهي

عبد شمس أبي فإن كنت غضبي ... فاملئي وجهك المليح خموشا

نحن كنا سكانها من قريش ... وبنا سميت قريش قريشا

والسناد من قولهم: خرج بنو فلان برأسين متساندين، أي هذا على حياله وهذا على حياله، وهو مثل ما

قالوا: كانت قريش يوم الفجار متساندين، أي لا يقودهم رجل واحد

.ولنتبع ذلك بالكلام على عيوب المعاني

:عيوب المعاني

قد كنا قدمنا في باب النعوت، أن جملتها أن يكون المعنى مواجهاً للغرض، غير عادل عنه إلى جهة أخرى، وبيننا من الأغراض التي تنتجها الشعراء في ذلك الموضوع ما إذا حفظ عرف العيب بالعدول عنه، وبدأنا في باب النعت بأمور جعلناها مثالات، فلا بأس في أضدادها بمثالات أيضاً

## ذكر المديح

لما كنا قدمنا من حال المديح الجاري على الصواب ما أنبأنا أنه الذي يقصد فيه المدح للشيء بفضائله الخاصة، لا بما هو عرضي فيه، وجعلنا مديح الرجال مثلاً في ذلك، وذكرنا أن من قصد لمدهم بالفضائل النفسية الخاصة كان مصيباً، وجب أن يكون ما يأتي به من المدح على خلاف الجهة التي ذكرناها في النعوت معيباً

ومن الأمثلة الجياد في هذا الموضوع ما قاله عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات، حيث

عتب عليه في مدحه إياه: إنك قلت في مصعب بن الزبير

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

:وقلت في

يأتلق التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

فوجه عتب عبد الملك: إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن الفضائل النفسية، التي هي العقل

والعفة والعدل والشجاعة، وما جانس ذلك، ودخل في جملته إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء

والزينة، وقد كنا قدمنا أن ذلك غلط وعيب

:ومنه قول أيمن بن خزيم، في بشر بن مروان

يا ابن الذوائب والذرى والأرؤس ... والفرع من مضر العفرنا الأفعس

وابن الأكارم من قریش كلها ... وابن الخلائف وابن كل قلمس

من فرع آدم كابراً عن كابر ... حتى انتهيت إلى أبيك العنيس

مروان إن قناته خطية ... غرست أرومتها أعز المغرس

وبنيت عند مقام ربك قبة ... خضراء كلل تاجها بالفسفس

فسمأوها ذهب وأسفل أرشها ... ورق تاللاً في البهيم الحندس

فما في هذه الأبيات يتعلق بالمدح الحقيقي، وذلك أن كثيراً من الناس لا يكونون كآبائهم في الفضل، ولم

يذكر هذا الشاعر شيئاً غير الآباء، ولم يصف الممدوح بفضيلة في نفسه أصلاً، وذكر بعد ذلك بناءه

قبة، ثم وصف القبة بأنها من الذهب والفضة، وهذا أيضاً ليس من المدح، لأن في المال والثروة مع

الضعة والفقه ما يمكن معه بناء القباب الحسنة واتخاذ كل آلة فائقة، ولكن ليس ذلك مدحاً يعتد به،

ولا نعتاً جارياً على حقه

ومما نذكره في هذا الموضوع، ليصح به شدة قبح هذا المدح، قول أشجع بن عمرو بما يخالف اليسار  
يريد الملوك مدى جعفر ... ولا يصنعون كما يصنع

وليس بأوسعهم في الغنى ... ولكن معروفة أوسع

فقد أحسن هذا الشاعر، حيث لم يجعل الغنى واليسار فضيلة، بل جعلها غيرهما، وقال أيضاً أيمن بن  
خريم في بشر:

فلو أعطاك بشر ألف ألف ... رأى حقاً عليه أن يزيدا

وأعقب مدحتي سرجاً خلنجا ... وأبيض جوزجانياً عقودا

فإننا قد وجدنا أم بشر ... كأم الأسد مذكراً ولودا

فجميع هذا المدح على غير الصواب، وذلك أنه أوماً إلى المدح بالتناهي في الجود أولاً، ثم أفسده في  
البيت الثاني بذكر السرج وغيره، ثم ذكر في البيت الثالث ما هو إلى أن يكون ذماً أقرب، وذلك أنه  
جعل أمه ولوداً، والناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة يكون أعسر، ومنه قول الشاعر  
يغاث الطير أكثرها فراخاً ... وأم الصقر مقلات نزور

### ذكر عيوب الهجاء

كما أن معرفة رداءة المدح قد كان سهلها معرفة جيدة، فكذلك عيب الهجاء يسهل الطريق إلى العلم به  
ما تقدم في باب نعته، وجماع القول فيه: أنه متى سلب المهجو أموراً لا تجانس الفضائل النفسية كان  
ذلك عيباً في الهجاء، مثل أن ينسب إلى أنه قبيح الوجه، أو صغير الحجم، أو ضئيل الجسم، أو مقتر،  
أو معسر، أو من قوم ليسوا بأشراف، إذا كانت أفعاله في نفسه جميلة، وخصاله كريمة نبيلة، أو أن  
يكون أبواه مخطئين، إذا كان مصيباً، أو غويين، إذا وجد رشيداً سديداً، أو بقلة العدد، إذا كان كريماً،  
أو بعدم النظر، إذا كان راجحاً شهماً، فلست أرى ذلك هجاء جارياً على الحق  
ومما يدل على ذلك، بعد القياس الصحيح، والنظر الصريح، أشعار وأقوال أعددها، فمنها ما أنشدناه  
أبو العباس أحمد بن يحيى، ثعلب:

رأت نضو أسفار أميمة قاعداً ... على نضو أسفار فجن جنونها

فقلت: من أي الناس أنت ومن تكن ... فإنك راعي ثلة لا نزينها

فقلت لها: ليس الشحوب على الفتى ... بعار ولا خير الرجال سمينها

فهذا صريح في أن القبح والشحوب والسماجة ليست بعار

ومن هذا أيضاً قول بعضهم في ابن له ازدراه رجال، فمنعهم من نعمه، وقد أغاروا عليها

رأوه فازدروه وهو خرق ... وينفع أهله الرجل القبيح

ومن الأبيات الأول في أن قلة المال ليست عاراً قوله  
عليك براعي ثلة مسلحة ... يروح عليه محضنها وحقينها  
سمين الضواحي لم تؤرقه ليلة ... وأنعم أبكار الهموم وعونها  
وللسموأل في أن قلة العدد ليس عيباً ولا سبة  
تعرينا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل  
وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأثيرين ذليل  
فعدى هذا الشاعر عن الهجاء الذي غيرتهم به هذه المعيرة، واحتج فيه بما دل على أنه غير صائر، ثم  
وصف بعد ذلك نفسه وقومه بالأوصاف التي هي لاثقة بالمدح، وفي ذكرنا إياها في هذا الموضع منفعة  
:في تعليم الهجاء الجاري على الصواب، فقال  
وإنا لقوم لا نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول  
يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول  
وما مات منا سيد حتف أنفه ... ولا طل منا حيث مات قتيل  
لن اجبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل  
:فأتى في هذه الأبيات بالمدح من جهة الشجاعة والبأس والعز، ثم قال  
وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول  
إذا سيد منا خلا قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فحول  
سلى إن جهلت الناس عنا وعنهم ... وليس سواء عالم وجهول  
:فأتى في هذه الأبيات بالوصف من جهة العقل والرأي والفهم، ثم قال  
فنحن كماء المزن ما في نصابنا ... كهام ولا فينا يعد بخيل  
:فأتى بالمدح من جهة الجود، وهو أحد أقسام العدل، كما بينا، ثم قال  
صفونا فلم نكدر وأخلص سرنا ... إناث أطابت حملنا وفحول  
فأتى بالمدح من جهة العفة، إذ كان في ذكره طيب الحمل دليل على ذلك؛ أفلا ترى أن هذا الشاعر،  
لما علم أن المعيرة لم تأت بما يضرهم، احتج في ذلك بما يزيل الظنة عنهم، ثم عمد إلى الفضائل،  
التي هي فضائل بالحقيقة، فأوجبها لهم، فكأنه أرى بهذا الفعل أن ما قالته المعيرة غير جار على  
الصواب.

:وأنشدنا أحمد بن يحيى في هذا المعنى  
وإني لا أخزى إذا قيل مملق ... سخي وأخزى أن يقال بخيل  
:وبلغني أن ابن الزبير لما دخل الشام ناداه أهلها: يا ابن ذات النطاقين، فقال لابن أبي عتيق  
وتلك شكاة ظاهر عنك عاراها

فأبان بهذا القول أنه لا يلزمه ما يقال في أمه.  
وإذا تؤمل ما ذكرته في هذا الباب، لم يبعد الوقوف على عيب الهجاء كيف يتعرف:  
عيوب المراثي

وأما المراثي: ففي ما قدمته في باب نعوتها ما أبان عن الوجه في باب عيوبها، إذا كان النظر صحيحاً  
والفكر سليماً

### عيب التشبيه

وأما عيب التشبيه: فتلك سبيله أيضاً لمن كان حافظاً لما تقدم من أقوالنا في باب نعوته

### عيب الوصف

وأما عيب الوصف: فبالمضادة في باب نعوته

### الغزل

وأما الغزل: فالقول فيه كالقول فيما مر من هذه الأبواب، إذا كان عيبه إنما هو مضادة ما قدمنا ذكره في  
باب نعته

ومن الغزل الجاري على تلك المضادة، وفيه - مع أنه مثال في هذا الموضع للعيب - تأكيد لما قدمناه  
في باب النعوت، قول إسحاق الأعرج مولى عبد العزيز بن مروان

فلما بدا لي ما رابني ... نزعْتُ نزوعَ الأبيِّ الكريمِ

وبلغني أن أبا السائب المخزومي لما أنشد هذا البيت، قال، قبحه الله، لا والله ما أحبها ساعة قط

ومثلها لنابغة بني تغلب، واسمه الحارث بن عدوان أحد بني زيد ابن عمرو بن غنم بن تغلب

هجرت أمانة هجرًا طويلاً ... وما كان هجرَكَ إلا جميلاً

على غيرِ بغضٍ ولا عنِ قلى ... وإلا حياءً وإلا ذهولاً

بخلنا لبخلِك قد تعلمين ... فكيف يلومُ البخيلُ البخيلاً

ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدمائة، كان ما يحتاج فيه أن تكون  
الألفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة، غير مستكرهة، فإذا كانت جاسية مستوخمة كان ذلك عيباً، إلا أنه لما  
يكن عيباً على الإطلاق، وأمكن أن يكون حسناً، إذ كان قد يحتاج إلى الخشونة في مواضع مثل ذكر  
البسالة والنجدة واليأس والمرهبة، كان أحق المواضع التي يكون فيها عيباً الغزل لمنافرتة تلك الأحوال  
وتباعده منها، فمن الكلام المستثقل في الغزل قول عبد الرحمن ابن عبد الله القس

إن تنأ دارك لا أملٌ تذكراً ... وعليك مني رحمةً وسلامٌ

:ومن المستحسن قول هذا الشاعر أيضاً

سلامَ ليثَ لساناً تنطقينَ به ... قبلَ الذي نالني من صوتِهِ قطعاً

.فما رأيتَ أغلظَ ممن يدعو على معشوقته، حيثَ أجادت في غنائها له، بقطع لسانها

:العيوب العامة للمعاني

وأما العيوب العامة للمعاني، من الأغراض التي ذكرناها وغيرها، وعموم ذلك إياها، كعموم النعوت التي

:قدمنا وعددنا في أبوابها، فمنها فساد القسم

:فساد القسم

وذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر، أو يأتي بقسمين: أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر،

.أو يجوز أن يدخل أحدهما تحت الآخر في المستأنف، أو أن يدع بعضها فلا يأتي به

:التكرير

:فأما التكرير، فمثل قول هذيل الأشجعي

فما برحت تومي إليه بطرفها ... وتومض أحياناً إذا خصمها غفل

.لأن تومض وتومي بطرفها متساويان في المعنى

:دخول أحد القسمين في الآخر

:وأما دخول أحد القسمين في الآخر، فمثل قول أحدهم

أبادرُ إهلاكَ مستهلكٍ ... لماليّ أو عبثَ العابث

.فعبث العابث داخل في إهلاك مستهلك

:ومثل قول أمية بن أبي الصلت الثقفي

لله نعمتُنا تبارك ربُّنا ... ربُّ الأنامِ وربُّ من يتأبّد

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله: من يتأبّد الوحش، وذلك أن من لا تقع على الحيوان غير الناطق،

وإذا كان الأمر على هذا، فمن يتوحش داخل في الأنام، أو يكون أراد بقوله: يتأبّد يتقرب من الأبد،

.وذلك داخل في الأنام أيضاً

:وأما أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر، فمثل قول أبي عدي القرشي

غير ما أن أكونَ نلتُ نوالاً ... من نداها عفواً ولا مهنيّاً

.فالعفو قد يجوز أن يكون مهنيّاً، والمهني قد يجوز أن يكون عفواً

وقد ضحك من أنوك سأل مرة فقال: علقمة بن عبدة جاهلي أو من بني تميم؟ فلأن الجاهلي قد يكون

من بني تميم ومن بني عامر، والتميمي قد يكون جاهلياً وإسلامياً. ومن ذلك قول عبد الله بن سلمة

:الغامدي

فهبطُ غيثاً ما تفرغُ وحشهُ ... من بين سربِ ناوي وكنوس

ناو: سمين، يقال: نوى سمن، والسمين يجوز أن يكون كانساً أو راتعاً، والكانس يجوز أن يكون سميناً أو هزياً.

:وأما القسم التي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه، فمثل قول جرير في بني حنيفة صارت حنيفة أثلاثاً فثلثهم ... من العبيد وثلث من مواليتها  
وبلغني أن هذا الشعر أنشد في مجلس، ورجل من بني حنيفة حاضر فيه، فقيل له: من أيهم أنت؟ فقال:  
من الثلث الملقى ذكره. ومن عيوب المعاني: فساد المقابلات  
ومن كان حافظاً لما ذكرناه من صحة المقابلات في باب النعوت ظهر له الحال في فسادها كثيراً

### فساد المقابلات

وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر، إما على جهة الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر ولا يوافقه، مثال ذلك قول أبي عدي القرشي  
يا ابن خير الأختار من عبد شمس ... أنت زين الدنيا وغيث الجنود  
فليس قوله: وغيث الجنود، موافقاً لقوله: زين الدنيا، ولا مضاداً، وذلك عيب. ومنه قول هذا الرجل  
أيضاً في مثل ذلك  
رحماء بذى الصلاح وضراً ... بون قدماً لهامة الصنديد  
فليس للصنديد فيما تقدم ضد ولا مثل، ولعله لو كان مكان قوله: الصنديد الشرير، كان ذلك جيداً  
لقوله: ذو الصلاح. وللعادل عن هذا العيب غير الرواة قول امرئ القيس  
فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنّها نفس تساقط أنفوسا  
فابدلوا مكان: سوية: جميعاً لأنها في مقابلة تساقط أنفوساً أليق من سوية. ومن عيوب المعاني: فساد  
التفسير

### فساد التفسير

ومن كان ذاكرةً لما قدمناه في باب نعت هذا المعنى عرف الوجه في عيبه. مثال في ذلك: ما جاءني به  
بعض الشعراء في هذا الوقت، وأنا أطلب مثالات في هذا الباب، يستفتيني فيه وهو  
فيها أيها الحيران في ظلم الدجى ... ومن خاف أن يلقاه بغى من العدى  
تعال إليه تلق من نور وجهه ... ضياءً ومن كفيه بحر من الندى  
وقد كان هذا الرجل يسمعي كثيراً أخوض في أشياء من نقد الشعر، فيعي بعض ذلك، ويستجيد الطريق  
التي أوضحها له، فلما وقع هذان البيتان في قصيدة له، ولاح له ما فيهما من العيب، ولم يتحققه صار  
إلي فيهما، وذكر أنه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم، ممن ظن أن عنده مفتاحاً له، وأن



بعضهم جوزهما، وبعضهم شعر بالعيب فيهما ولم يقدر على شرحه، فذكرت له الحال فيه، وأثبت البيتين في هذا الباب مثلاً

ووجه العيب فيهما: أن هذا الشاعر، لما قدم في البيت الأول الظلم وبغي العدى، كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما، فأتى بإزاء الإظلام بالضياء، وذلك صواب، وكان الواجب أن يأتي بإزاء بغي العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر أو بما جانس ذلك مما يحتّمى به الإنسان من أعدائه، فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى، ولو كان ذكر الفقر أو العدم لكان ما أتى به صواباً. وقد يتفرع من هذا الباب خطآن إذا وقعا فيه، خرجا إلى بابين آخرين من أبواب عيوب الشعر أحدهما: أن يكون هذا الشاعر مثلاً لو لم يأت بخلاف القسم الثاني، بل تركه، لدخل في باب الخلل؛ ولو لم يتركه، بل أتى به وزاد عليه، لدخل في باب الحشو، وقد ذكرنا هذين البابين في مواضعهما. ومن عيوب المعاني: الاستحالة والتناقض

### الاستحالة والتناقض

وهما أن يذكر في الشعر شيء، فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة، والأشياء تتقابل على أربع جهات:

إما على طريق المضاف، ومعنى المضاف هو الشيء الذي إنما يقال بالقياس إلى غيره، مثل الضعف إلى نصفه، والمولى إلى عبده، والأب إلى ابنه، فكل واحد من الأب والابن والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالإضافة إلى الآخر، وهذه الأشياء من جهة ما أن كل واحد منها يقال بالقياس إلى غيره، هي من المضاف، ومن جهة أن كل واحد منها بإزاء صاحبه كالمقابل له، فهي من المتقابلات. وإما على طريق التضاد، مثل: الشرير للخير، والحر للبارد، والأبيض للأسود. وإما على طريق العدم والقنية، مثل الأعمى والبصير، والأصلع وذو الجمّة. وإما على طريق النفي والإثبات، مثل أن يقال: زيد جالس، زيد ليس يجالس

فإذا أتى في الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات، وكان هذا الجمع من جهة واحدة، فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعاني الشعرية، بل هو لاحق بجميع المعاني، وأعني بقولي: من جهة واحدة: أنه قد يجوز أن يجتمع في كلام منشور أو منظوم متقابلان من هذه المتقابلات، ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة، فيكون الكلام مستقيماً غير محال ولا متناقض، مثال ذلك أن يقال في تقابل المضاف: إن العشرة مثلاً ضعف وإنها نصف، لكن يقال: إنها ضعف لخمسعة ونصف لعشرين، فلا يكون ذلك محالاً إذا قيل من جهتين، فأما من جهة واحدة كما إذا قيل: إنها ضعف ونصف لخمسعة فلا

وكذلك يجوز أن يجتمع المتقابلات على طريق العدم والقنية من جهتين، مثال ذلك أن يقال: زيد أعمى

بصير القلبين فيكون ذلك صحيحاً، فأما من جهة واحدة، كما لو قيل في إنسان: واحد إنه أعمى العين بصيرها، فلا

وكذلك في التضاد أن يقال في الفاتر: حار عند البارد، وبارد عند الحار، فأما عند أحدهما فلا وفي النفي والإثبات أن يقال: زيد جالس، في وقته الحاضر الذي هو فيه جالس، وغير جالس في الوقت الآتي الذي يقوم فيه إذا قام، فذلك جائز، فأما في وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس فلا ولهذه العلة يجوز ما يأتي في الشعر على هذه السبيل، مثل ما قال خفاف بن ندبة إذا انتكثَ الحبلُ ألفتَه ... صبورَ الجنانِ رزيناً خفيفاً

فلو لم تكن إرادته أنه رزين من حيث ليس خفيفاً، وخفيف من حيث ليس رزيناً، لم يجز، ومثل ما قال الشنفرى

فدقتُ وجلتُ واسبكرتُ وأكملتُ ... فلو جنَّ إنسانٌ من الحسنِ جنتِ  
فإنه إنما أراد دقت من جهة وجلت من أخرى، فأما لو كان أراد أنها دقت من حيث جلّت، لم يكن جائزاً

وقد جاء في الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه، وما جمع فيما قيل فيه بين المتقابلات من جهة واحدة، ومنه ما التناقض فيه ظاهر، يعلم في أول ما يلقي السمع، ومنه ما يحتاج إلى تنبيه على موضع التناقض فيه

ومما جاء في ذلك على جهة التضاد، قول أبي نواس يصف الخمر  
كأنّ بقايا ما عفا من حبابها ... تفاريقُ شيبٍ في سوادِ عذارٍ  
فشبه حباب الكأس بالشيب، وذلك قول جائز، لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده، لا في شيء آخر غيره، ثم قال

تردّت به ثم انفردى عن أديمها ... تفرى ليلٍ عن بياض نهارٍ  
فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل، هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، وليس في هذا التناقض منصرف إلى جهة من جهات العذر، لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان، وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر، فليس يجوز أن يكون شيء واحد منهما في غاية البعد عن الآخر، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أبيض وأسود، إلا كما يوصف الأدكن في الألوان بالقياس إلى واحد من الطرفين اللذين هو واسطة بينهما، فيقال: إنه عند الأبيض أسود، وعند الأسود أبيض، وليس فيما قاله أبو نواس حال توجب انصراف ما قاله إلى هذه الجهة. ولعل قوماً أن يحتجوا لأبي نواس بأن يقولوا: إن قوله

تفرى ليل عن بياض نهار

لم يرد به أسود ولا أبيض، لكن الذي أراده إنما هو ذات التفري وانحسار الشيء عن الشيء، أسود كان أو أبيض أو غير ذلك من الألوان

فنقول: من يحتج بهذه الحجة تبطل من جهات: إحداها: أن الرجل قد صرح بأنه لم يرد غير اللون فقط، بقوله: عن بياض نهار، والثانية: تشبيهه الحجاب بالشيب، لأن الحجاب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير البياض، والثالثة: أن النهار والليل ليس هما غير الضياء والظلمة، فيظن بالجاعل لهما في وصف من الأوصاف أنه أراد شيئاً آخر، فإن القائل مثلاً في شيء إنه قد تبرأ من شيء كما تتبرأ الشعرة من العجين، قد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين: أحدهما: أن يظن أنه أراد ذات تبرؤ شيء، ويجوز أن يظن أنه إنما أراد تبرؤ الأسود من الأبيض، لأن في الشعرة والعجين جسماً يجوز أن يتبرأ من جسم، وسواداً وبياضاً، فأما الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط، فأما جسم يتبرأ من جسم فلا. التناقض على طريق المضاف: ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق المضاف، قول عبد الرحمن ابن عبد الله القس:

فإنِّي إذا ما الموتُ حلَّ بنفسِها ... يزالُ بنفسِ قبلي ذاك فأكبرُ

فقد جمع بين قبل وبعد، وهما من المضاف، لأنه لا قبل إلا لبعده، ولا بعد إلا لقبل، حيث قال: إنه إذا وقع الموت بها، وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به، وجوابه هو قوله: يزال بنفسه قبل ذاك، وهذا شبيه بقول قائل لو قال: إذا انكسر الكوز انكسرت الجرة قبله، ومنزلة هذا التناقض عندي فوقه منزلة جمع المتقابلين في الشناعة، لأن هذا الشاعر جعل ما هو قبل بعداً

### التناقض على طريق القنية والعدم

ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق القنية والعدم، قول ابن نوفل

لأعلاجِ ثمانيةٍ وشيخٍ ... كبيرِ السنِّ ذي بصرٍ ضريبٍ

فلفظة: ضريب إنما تستعمل - وهي تصريف فعل من الضر - في الأكثر للذي لا بصر له، وقول هذا الشاعر في هذا الشيخ: إنه ذو بصر وإنه ضريب، تناقض من جهة القنية والعدم، وذلك أنه كأنه يقول: إن له بصراً ولا بصر له، فهو بصير أعمى

فإن قال قائل: إنه ضريب، راجع على البصر بأنه أعمى، فالعرب أولاً إنما تريد بضرير الإنسان الذي قد لحقه الضر بذهاب بصره لا البصر نفسه، وأيضاً فليس البصر هو العين التي يقع عليها العمى بل ذات الإبصار، وذات الإبصار لا يقال: إنها عمياء، كما لا يقال: إن حدة السيف كليله، بل إنما يقال: إن السيف كليل، لأن الحدة، لا تكل، وكذلك البصر لا يعمى، ولكن هو في توسع اللغة، وتسمح العرب في اللفظ جائز على طريق المجاز، وقد جاء في أقوى المواضع حجة، وهو القرآن في قوله عز وجل فإنها لا تعمي الأبصار ولكنه إذا جاز في البصر أن يقال: أعمى، فلا أراه يجوز أن يقال فيه: مضرور،

.واری إنما یدخل فی هذا الباب

:ومن التناقض قول ابن الرمة

تراه إذا أبصر الضیفَ کلبه ... یکلمه من حبه وهو أعجم

فإن هذا الشاعر أثنى الكلب الکلام، فی قوله: أنه یکلمه، ثم أعدمه إياه عند قوله: إنه أعجم، من غیر أن یزید فی القول ما یدل علی أن ما ذكره إنما أجراه علی طریق الاستعارة، فإن عذر هذا الشاعر ببعض المعاذیر، إذ كانت الحجج كثيرة، فهلا قال كما قال عنتره العبسی

فازور من وقع القنا بلبانه ... وشکا إلى بعيرة وتحمحم

:فلم یدرج الفرس عما له من التحمحم إلى الکلام، ثم قال

لو كان یدري ما المحاوره اشتكى ... ولکان، لو علم الکلام، مکلمي  
فوضع عنتره ما أراده فی موضعه

### التناقض علی طریق الإیجاب والسلب

:ومما جاء فی الشعر من التناقض علی طریق الإیجاب والسلب، قول عبد الرحمن بن عبد الله القس

أرى هجرها والقتل مثلین فاقصروا ... ملاکم فאלقتل أعفی وأیسر

فأوجب هذا الشاعر الهجر والقتل أنهما مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله: إن القتل أعفی وأیسر، فكأنه قال: إن القتل مثل الهجر، وليس هو مثله

وأرى أن هذا الشاعر أراد أن یقول: بل القتل أعفی وأیسر، ولو قال: بل لكان الشعر مستقيماً، لأن مقام لفظة: بل مقام ما ينفي الماضي ویثبت المستأنف، لكنه لما لم یقلها، وأتى بجمع الإثبات ونفيه استحال شعره.

ولیس إذا علمنا أن شاعراً أراد لفظة تقیم شعره، فجعل مكانها لفظة تحيله وتفسده، وجب أن یحتسب له ما يتوهم أنه أراده، ویترك ما قد صرح به، ولو كانت الأمور كلها تجري علی هذا لم یکن خطأ

:وأرى أن مما یجري هذا المجرى قول یزید بن مالک الغامدي، حیث قال

أكف الجهل عن حلماء قومي ... وأعرض عن كلام الجاهلینا

:ثم قال فی هذه القصيدة بعد هذا البيت

إذا رجل تعرض مستخفاً ... لنا بالجهل أوشك أن یحینا

فقد أوجب هذا الشاعر فی البيت الأول لنفسه الحلم والإعراض عن الجهال، ونفى ذلك بعینه فی

البيت الثاني بتعديه فی معاقبة الجاهل إلى أقصى مراتب العقوبات وهو القتل

:ولأبی نواس أيضاً شيء شبه هذا وهو قوله

ولي عهد ماله قرین ... ولا له شبه ولا خدين

استغفرُ اللهَ، بلى هارونُ ... يا خيرَ من كانَ ومن يكونُ  
إلا النبيُّ المصطفى الميمونُ ... ذلت بك الدنيا وعزَّ الدينُ  
فصير هارون شبيهاً بولي العهد، ثم قال: إنه خير الناس، ولم يستثن بهارون، فكأنه إما خير منه، وليس  
خيراً منه، لأنه شبيهه أو كشبيهه، وليس بشبيهه، لأنه خير منه، وهذا جمع بين النفي والإثبات  
ومما يجري هذا المجرى، وقد أنكره الناس وعابوه، قول زهير ابن أبي سلمى  
حيّ الديارَ التي لم يعفُها القدمُ ... بلى وغيرها الأرواحُ والديمُ

### إيقاع الممتنع

ومن عيوب المعاني: إيقاع الممتنع فيها في حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه، والفرق بين الممتنع  
والمتناقض - الذي تقدم الكلام فيه - أن المتناقض لا يكون، ولا يمكن تصوره في الوهم، والممتنع لا  
يكون، ويجوز أن يتصور في الوهم

ومما جاء في الشعر - قد وضع الممتنع فيه فيما يجوز وقوعه - قول أبي نواس  
يا أمينَ الله عِشْ أبداً ... دُمْ عَلَى الأيامِ والزمنِ  
فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاعل لهذا الممدوح بقوله: عِشْ أبداً، أو دعا له، وكلا الأمرين،  
مما لا يجوز، مستقبح

ولعل معترضاً أن يعترض على هذا القول منا في هذا الموضع فيقول: إنه مناقضة لا استجزاه ورأيناه  
صواباً في صدر هذا الكتاب من الغلو، ويجعل قول أبي نواس هذا غلوّاً، يلزماً تجويزه، كما أصلنا  
تجويز الغلو وتجويده

ونحن نقول: إن هذا وما أشبهه ليس غلوّاً ولا إفراطاً، بل خروجاً عن حد الغلو الذي يجوز أن يقع إلى  
حد الممتنع الذي لا يجوز أن يقع، لأن الغلو إنما هو تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس  
خارجاً عن طباعه إلى ما لا يجوز أن يقع له، لأن الذي كنا قلنا: إنه جائز، مثل قول النمر بن تولب  
تَظَلُّ تَحْفَرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ ... بعد الذراعين والساقين والهادي

فليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين والهادي. وأن يؤثر بعد ذلك ويغوص في  
الأرض، ولكنه مما لا يكاد أن يكون: وكذلك ما قلناه فيما قال مهلهل

فلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمَعَ أَهْلَ حَجَرٍ ... صليلَ البيضِ تَقْرَعُ بِالذِّكُورِ  
فإنه أيضاً ليس يخرج عن طباع أهل حجر أن يسمعوا الأصوات من الأماكن البعيدة، ولا خارج عن طباع  
البيض أن تصل ويشد طينتها بقرع السيوف إياها، ولكن يبعد بعد المسافة بين موضع الوقعة وحجر  
بعداً لا يكاد يقع

وليس في طباع الإنسان أن يعيش أبداً، وأيضاً فإننا كنا قد قدمنا أن مخارج الغلو إنما هي على يكاد  
وليس في قول أبي نواس: عِشْ أبداً، موضع يحسن فيه، لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء أن يقال: يا

أأمين الله تكاد تعيش أبداً

مخالفة العرف

ومن عيوب المعاني: مخالفة العرف، والإتيان بما ليس في العادة والطبع، وذلك مثل قول المزار  
وخالٍ على خديك يبدو كأنه ... سنا البدر في دعجاء بادٍ دجونها  
فالمعارف المعلوم أن الخيلان سود، أو ما قاربها في ذلك اللون، والحدود الحسان إنما هي البيض،  
وبذلك تنعت، فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى

ومن هذا المجلس قول الحكم الخصري

كانت بنو غالبٍ لأمتها ... كالغيث في كلِّ ساعةٍ يكفُ  
فليس في المعهود أن يكون الغيث واكفاً في كل ساعة  
نسب الشيء إلى ما ليس منه

ومن عيوب المعاني: أن ينسب الشيء إلى ما ليس منه، كما قال خالد بن صفوان

فإن صورةً راقتك فاخبرُ قريباً ... أمرٌ مذاقُ العودِ، والعودُ أخضرُ  
فهذا الشاعر بقوله: ربما أمر مذاق العود والعود أخضر

كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر، في الأكثر، أن يكون عذبا، أو غير مر، وهذا ليس بواجب، لأنه  
ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر  
ولنتبع ما تكلمنا به في عيوب المعاني بما في الأقسام الأربعة المؤتلفة. من ذلك: عيوب ائتلاف اللفظ  
والمعنى. فمنها

الإخلال

وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى

مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

أعاذل عاجل ما أشتهي ... أحب من الأكثر الرائي  
فإنما أراد أن يقول: عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلى من الأكثر المبطئ فترك مع القلة وبه يتم  
المعنى

ومثل ذلك قول عروة بن الورد

عجبتُ لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقلتهم عند الوغى كان أعذراً  
فإنما أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم، ومقلتهم عند الوغى أعذر فترك في  
السلم

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حلزة

والعيشُ خيرٌ في ظلاً ... لِ النوكِ ممن عاش كداً

فأراد أن يقول: والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكد في ظلال العقل فترك شيئاً كثيراً، وعلى أنه لو قال ذلك لكان في هذا الشعر خلل آخر، لأن الذي يظهر أنه أراده، هو أن يقول: إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل فأخل بشيء كثير

ومن هذا الجنس نوع آخر، وهو كما قال بعضهم

لا يرمضون إذا حرت مغافرههم ... ولا ترى منهم في الطعن ميّالا  
يفشلون إذا نادى ربيهم ... ألا اركبني فقد آنست أبطالا

فأراد أن يقول: ولا يفشلون فحذف لا فعاد المعنى إلى الضد ومن عيوب هذا الجنس، عكس العيب

:المتقدم، وهو أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى، مثال ذلك قول بعضهم

فما نطفة من ماء نحض عذبة ... تمنع من أيدي الرقاة ترومها  
بأطيب من فيها لو أنك ذقتها ... إذا ليلة أسجّت وغارث نجومها  
فقول هذا الشاعر: لو أنك ذقتها زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً

.عيوب اتلاف اللفظ والوزن: منها الحشو

.الحشو: وهو أ، يخشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن

:مثال ذلك ما قال أبو عدي القرشي

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمّت ... في المجد للأقوام كالأذنان  
فقله: للأقوام، حشو لا منفعة فيه

:وقال مصقلة بن هبيرة

ألكني إلى أهل العراق رسالة ... وخص بها، حييت، بكر بن وائل

.فقله: حييت، حشو لا منفعة فيه. ومنها التلخيص

:التلخيص

وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض، فيضطر إلى ثلمها النقص منها، مثال ذلك قول أمية

:بن أبي الصلت

لا أرى من يعينني في حياتي ... غير نفسي إلا بني إسرائيل

:وقال في هذه القصيدة

أيما شاطن عصاه عكاه ... ثم يلقي في السجن والأكبال

:وقال علقمة بن عبدة

كأن إبريقهم طيبي على شرف ... مقدم بسبا الكتان ملثوم

:أراد: بسبائب الكتان، فحذف للعروض. وقال لبيد بن ربيعة

درس المنا بمتالع فأبان

.أراد المنازل. ومنها التذنيب

:التذنيب

.وهو عكس العيب المتقدم، وذلك أن يأتي الشاعر بالفاظ تقصر عن العروض، فيضطر إلى الزيادة فيها  
:مثال ذلك ما قال الكميت

لا كعبدِ المليكِ أو كيزيدٍ ... أو سليمان بعدُ أو كهشامِ  
فالملك والمليك اسمان لله عز وجل، وليس إذا سمي إنسان بالتعبد لأحدهما، وجب أن يكون مسمى  
بالآخر، كما أنه ليس من سمي: عبد الرحمن هو من سمي عبد الله. ومن هذا الجنس: التغيير  
:التغيير

.وهو أ، يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صور أخرى، إذا اضطرته العروض إلى ذلك  
:كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام

ونسج سليم كل قضاء ذائل

:وكما قال آخر

من نسج داود أبي سلام

.ومنه التفصيل

:التفصيل

وهو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم ويؤخر، كما قال دريد بن  
:الصمة

وبلغ نميراً، إن عرضتْ، ابن عامرٍ ... فأني أخ في النائباتِ وطالبِ  
:ففرق بين نمير بن عامر بقوله: إن عرضت، وكما قال أبو عدي القرشي  
خير راعي رعية، سره الله ... هشامٌ وخير مأوى طريد  
:وكما قال الآخر

لعمري أبيتها لا تقولُ حليتي ... ألا فرّ عني مالكُ بن أبي كعبٍ

:عيوب ائتلاف المعنى والوزن

.منها المقلوب

:المقلوب

.وهو أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى، فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد به

:مثال ذلك لعروة بن الورد

فلو أنني شهدتُ أبا سعادٍ ... غداةً غداً بمهجتهِ يفوقُ

فديتُ بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوک إلا ما أطيقُ

:أراد أن يقول: فديت نفسه بنفسي، فقلب المعنى. وللحطيئة



فلَمَّا خَشِيتُ الهَوْنَ والْعَيْرُ مَمْسَكٌ ... على رَغْمِهِ ما أَثَبَّتَ الحَبْلَ حَافِرُهُ

أراد: الحبل حافره، فانقلب المعنى

ومنها المبتور

المبتور

وهو ان يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد، فيقطعه بالقافية، ويتمه في البيت

الثاني، مثال ذلك قول عروة بن الورد

فلو كَالْيَوْمِ كان علي أمري ... وَمَنْ لك بالتدبُّرِ في الأُمُورِ

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى، ولكنه أتى بالبيت الثاني بتمامه، فقال

إذاً لملكْتُ عصمةً أمَّ وهبٍ ... على ما كان من حسكِ الصدورِ

وقال امرؤ القيس

أبعدَ الحارثِ الملكِ ابن عمرو ... وبعدَ الخيرِ حُبْرٍ ذي القبابِ

فالمعنى ناقص عن تمامه، فأتمه في البيت الثاني، وقال

أرجى من صروفِ الدهرِ لينا ... ولم تغفلْ عن الصمِّ الصلابِ

عيوب ائتلاف المعنى والقافية: منها

التكلف في طلب القافية: أن تكون القافية مستعدة قد تكلف في طلبها، فاشتغل معنى سائر البيت

بها، مثل ما قال أبو تمام الطائي

كالطبية الأذماءِ صافتْ فارتعتْ ... زهرَ العَرَّارِ الغصَّ والجشجاثا

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية، وإلا فليس في وصف الطبية بأنها ترتعي الجشجاث كبير

فائدة، لأنه إنما توصف الطبية إذا قصد لنعتهأ بأحسن أحوالها بأن يقال: إنها تعطو الشجر، لأنها حينئذ

رافعة رأسها، وتوصف بأن ذعراً يسيراً قد لحقها، كما قال الطرماح

مثل ما عَايَنْتَ مَخْرُوفَةً ... نصَّها ذاعِرُ رَوْعِ مُؤَامٍ

فأما أن ترتعي الجشجاث، فلا أعرف له معنى في زيادة الطبية من الحسن، لا سيما والجشجاث ليس من

المراعي التي توصف بأن ام يرتعى يؤثره: الإتيان بالقافية لتكون نظير لأخواتها في السجع: ومن عيوب

هذا الجنس: أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع، لا لأن لها فائدة في معنى البيت، كما

قال علي بن محمد البصري

وسابِغَةُ الأذيالِ رَغْفٌ مُفَاصَّةٌ ... تَكَنَّفَهَا مِنِّي نِجَادٌ مُخَطَّطٌ

في وصف الدرع وتجويد نعتها

فليس يزيد في جودتها أن يكون نجادها مخططاً، دون أن يكون أحمر أو أخضر، أو غير ذلك من

الأصباغ، ولكنه أتى به من أجل السجع

ومن هذا الجنس: قول أبي عدي القرشي

وَوُفِّيَتْ الْخُتُوفَ مِنْ وَارِثٍ وَآ... لِ وَأَبْنَاكَ صَالِحاً رَبُّ هُودٍ  
فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل إلى أنه رب هود بأجود من نسبته إلى أنه رب نوح، ولكن القافية  
. كانت دالية، فأتى بذلك للسجع لا لإفادة معنى بما أتى به منه